



مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

ذو القعدة 1440هـ - يوليو 2019م

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الشعراء الذين ورد ذكر العرب في قصائدهم فرنسيس وليام لودرديل آدمز (1822-1893) Francis William Lauderdale Adams شاعر وروائي بريطاني، أبوه عالم في التاريخ الطبيعي، وأمه روائية. هاجر إلى أستراليا، حيث قضى معظم حياته متفرغاً للكتابة. كان غزير الإنتاج رغم أن العمر لم يمتد به أكثر من واحد وثلاثين عاماً؛ فقد صدر له ثلاث روايات ومجموعة قصصية إضافة إلى أعماله الشعرية. انطلاقاً من توجهاته الاشتراكية، اهتم فرنسيس آدمز في أعماله بالطبقات المسحوقة والشعوب المظلومة؛ ولذلك حين ذهب إلى الإسكندرية هاجم الاحتلال الإنجليزي لمصر، وألف كتاباً في ذلك عنوانه «مصر الجديدة»، نشر بعد وفاته سنة 1893.

لذلك، أيتها الأجراس الإنجليزية -
أخر الصلوات مبيتور ومهترئ،
وقد تركت الأرض والعقيدة إلى
الأيد -
فدقي ولا تتوقفي!
-2-
هناك الكثير في هذه المدينة البحرية
لم أصادفه من قبل،
ولكن شيطان مألوفان عندي
من زمن بعيد.
في الخضرة الاستوائية الجميلة،
في الشوارع، انظر
المباني الإنجليزية المشعة
والرجل الإنجليزي الوحشي!
-3-
أقف وأشاهد الجنود
يسرون صعوداً وهبوطاً،
على ملعب الكريكيت الأخضر الجديد
خارج المدينة.
أقف، وأشاهد، وأتساءل
متى، في الأرض الإنجليزية،
هذا الجندي البأس المعتوه
سيتعلم ويفهم؟
أن الزولو، والبويريين، والعرب،
كلهم يقاثلونه مجرماً بشعاً
ليكونوا أحراراً،
رجالاً ونساءً وأطفالاً.
في الهند وأيرلندا
إنه أوقف الناس؛
ليسرق أموالهم
التيبيل الإنجليزي اللص.
ماذا أعطوه؟
لجعله خائناً لواجبه،
واجباره على ظلم أخيه؟
ليس إلا ملايس العبد وروحه!
أيها الفقير الأحق، تومي أتكينز،
كم ذابل أنت، فلنتفهم، في ذلك اليوم
حين تقف بعيون متلهمة وأسنان
مشدودة،
لتقول:
«هذه إنجلترا حبيبتنا الغالية،
وسوف أحررها قدر استطاعتي،
من كل تاجر فاسد،
وتبيل غشاش!»

نترجم له هذه النصوص المختارة:
أسطورة عربية
«الشابة»:
«إلى أين تذهبين أيتها الحمامة
البيضاء؟
عبر الهواء الذي يلعب بجناحك
ويحملك بأقصى سرعة
بعيدا، بعيدا، بعيدا!»
«الحمامة»:
«أذهب إلى حيث يبقى حبيبي معي
خلف الغيوم، بعيدا، بعيدا، بعيدا»
«الشابة»:
«أيتها الحمامة البيضاء، من أين
عدت؟
جناحك مهيضان
وعلى منهما استطارت
قطرات من الدم.»
«الحمامة»:
«جئت للموت حيث كان لحيثي في
الأيام الخوالي؛
لأنه لم يقد ليحيي الان،
أغاني هونج كونج
-1-
عند مرسى ميناء هذه الجزيرة،
البوابة الصينية،
استلقينا، حيث كانت المدينة البحرية
مصاطب تحت مرتفعات مكسوة
بالخضرة.
سفن، ويواخر، ومراكب شراعية،
وأعلام وشعوب عديدة،
وبخارة شتى،
سفن شراعية صينية، وقوارب، وكل
حشود الشرق المتتهجة،
مما شاهدت وعرفت.
وحين وفتت، بأصوات مفاجئة خلوة
رنانة
على نسيم مريح،
دقت أجراس الكنيسة، معلنة
السلام الداخلي.
أيتها الأجراس الإنجليزية، ارتفعت
موسيقاك أو انخفضت،
لن أهمل لك،
رغم أنها تأتيني خلوة حزينة، تُذكرني
بأيام الصبا العزيرة.



• الناس، والسلطة، والأرباح
• جوزيف ستيجلitz



• تاريخ موجز
• فليب شالمان



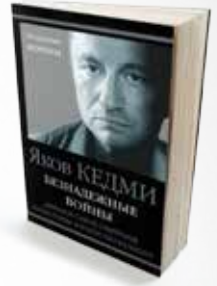
• ترامب والفلسفة السياسية
• كتاب جماعي



• دانتي والإسلام..
• ماسيمو كامبانييني



• المعجزة الاقتصادية الروسية
• سيرجي اليكسانكو



• حروب غير موثوق بها
• ياكوف كادمي



• الحاسة الثامنة
• محمد شميم



• ما الذي حدث
في القرن العشرين
• بيتر سلوتردايك



• عودة الشعوبيات
• مجموعة باحثين



• لماذا يعتنق الشباب
الألماني الإسلام؟
• د. سوزانه كايزر

إصدارات عالمية جديدة





ترامب والفلسفة السياسية: الزعامة والقيادة والطغيان.. مؤلف جماعي

محمد الشيخ *

هذا كتاب أفته طائفة من الباحثين في الفلسفة يُمكن أن نطلق عليهم اسم «جماعة الأريتيين». و«الأريتيون» قوم يقوم منطلق تفكيرهم على آلية الافتراض: أرايت لو أن... ولقد كان هؤلاء القوم مذمومين في الماضي، بتعلة أن تفكيرهم عث من الافتراضات لا صلة لها بالواقع. لكن، منذ أن لجأ إينشتاين إلى الاستعانة بالتجارب الذهنية -الافتراضية- في بناء نظرية النسبية، اكتسب التفكير الافتراضي احتراماً كبيراً، لا في العلوم الحقة وحدها وإنما في العلوم الإنسانية أيضاً. وهكذا بني الكتاب الذي بين أيدينا بناء منهجياً على الطرح الافتراضي التالي: هب (افترض) أن أفلاطون وأرسطو والفارابي ومكيافلي وروسو وغيرهم كثير من الفلاسفة حشروا في زماننا هذا، ماذا عساهم أن يقولوا عن الرئيس الأمريكي الخامس والأربعين دونالد ترامب؟ أنكى من هذا، هب بالعكس أن آلة الزمن طوحت بهذا الرئيس إلى زمن هؤلاء الفلاسفة، ترى كيف كانوا سينظرون إليه؟

(١)

أرايت لو أن أفلاطون قدر له في الماضي أن يلتقي بترامب، ما الذي عساه أن يقوله عنه؟ الذي عند أفلاطون، أن ترامب قد يكون يمثل الضارق بين الفيلسوف والسوفسطائي؛ لئن كان شأن الفيلسوف أن يسعى إلى كشف الحقيقة، فإن السوفسطائي لا يهتم بالحقيقة وإنما يعنى بتوجيه الناس التوجيه الذي يريده، وباستغلالهم الاستغلال حتى يسمي رجلاً ثرياً ومشهوراً وقويماً. والحال أن ترامب من هذا الصنف من الحكام السوفسطائيين، لا تهمة الحقيقة، وإن هو اهتم بها اهتم بها اهتمام الطاغية: الحقيقة هي ما يراه هو. شأنه أن ينشئ بديلاً عن الواقع، وذلك بجعله الحقيقة تصير هي إرادته للسلطة.

(٢)

أرايت لو التقى ترامب بأرسطو في الزمن القديم، ماذا عسى هذا أن يقول عنه؟ سعى أرسطو إلى جعل الفيلسوف يفهم ما الذي يعنيه الديماغوجي: ما طبيعة حكمه؟ وكيف يتم انتخابه؟ وقد وجد أن الطغيان يبدأ عندما تنحط الديمقراطية إلى ديماغوجية. وحال ترامب، حسب ما تذهب إليه لسلي روبين ناطقة بلسان أرسطو، يستجيب إلى هذه المواصفات التي وضعها أرسطو للديماغوجي: يقسم الناس إلى أصدقاء وأعداء، ويسعى إلى الإفراط في قراراته بدل الاعتدال، وإلى التسرع عوض الروية.

(٣)

أرايت لو أن كزنيوفانس التقى في حياته بترامب، ما الذي كان سيقول عنه؟ في بحث أشوك كارا، نجد كزنيوفانس وقد رسم صوراً لثلاث شخصيات سياسية: غلوكون ومينون وهيرو قابلة لكي تتجسد فيها الشخصيات السياسية المعاصرة بمختلف أوجهها. غلوكون رجل جاهل إلى أقصى حد، لكنه طموح بما لا مزيد عنه، وهو فاقد لأدنى فكرة عن كيف ينبغي أن يحكم، بينما مينون طماع حريص جشع، في حين لا يرضى هيرو على حياته المعيشة، رغم بلوغه أعلى مراتب السلطة. وفي كل هذه الحالات يظهر مؤلف

من تقاليد فكرية متنوعة: المنظور الأوربي والأمريكي والشرق أوسطي والصيني. ومداره على نمط ممارسة الزعامة عند ترامب، إيجاباً وسلباً، وإلى أي حد يبدي الرجل عن محاسن ومساوئ إمار رجل الدولة وإما الطاغية؛ علماً أن منقلب التفكير السياسي على النظر في هذين الأمرين. ومن المبادئ المنهجية الراسخة في العلوم الإنسانية المبدأ التاريخي القائل بأن من شأن اللاحق أن ينير السابق، لكن يبدو أن مشروع هذا الكتاب قائم على الضد: من شأن السابق أن ينير اللاحق؛ إذ يسعى الكتاب إلى أن يكسب معنى للسياسة المعاصرة من خلال العودة إلى أعمال العديد من المفكرين السياسيين الماضين. وهكذا، فإنه بدل جعل ترامب يعيننا على فهم تاريخ الفلسفة السياسية، يجعل الفلسفة السياسية تفهم ترامب. وبهذا يسعى إلى أن يجعلنا نقرأ نجاح ترامب الانتخابي، في وهلة أولى، على ضوء أفلاطون ونقاشه مع السوفسطائيين، وأرسطو وكلامه عن الديماغوجية والغوغائية، وتوقيديس وذكره السفالة، وكونفوشيوس وإثارتته مثال الرجال الثلاثة: القوي والصغير والوديع، والفارابي وحديثه عن المجتمع المفتوح (باب الفكر السياسي القديم والوسيط). وفي وهلة ثانية، نقرأ واقعة ترامب على ضوء مكيافلي وحديثه عن الإيالة، وشكسبير وكلامه عن الحاكم السيء، وروسو وإثارتته موضوع الرجال الثلاثة: الوغد والوطني والانشققي، وعلى ضوء النزعة الدستورية الأمريكية من هاملتون إلى لينكولن (باب الفكر الأوربي الحديث). وفي وهلة ثالثة نقرأ ظاهرة ترامب على ضوء الفلسفة القارية: على ضوء ماكس فيبر وحديثه عن الكارزمانية والقيمة والرسالية السياسية، وعلى ضوء غرامشي وكلامه عن الحس العامي، وأخير على ضوء كارل شميت ومقولة: «أنا وحدي بمقدرتي أن أجد الحلول» وفكرة السيادة والوطنية. ويمكن تجميع الظواهر السياسية، المتعلقة بترامب، والتي يمكن تفسيرها على ضوء الفلسفة السياسية، في مفاهيم ثلاثة: مفهوم «الطبع»، ومفهوم «الزعامة»، ومفهوم «الخطابة»؛ بما يشي عن خطابة ترامب وديماغوجيته، من جهة، وعن طبعه وكيف يؤثر ذلك في المؤسسات الديمقراطية، من جهة أخرى.

المبادرة بالجواب عن هذا السؤال الأريتي هي موضوع هذا الكتاب. وهو رحلة ممتعة في تخيل ما يمكن أن يقوله فلاسفة السياسة الكبار عن رئيس لم يشغل أحد رؤساء أمريكا الناس في العالم بأجمعه أكثر مما فعل هو. ولربما لم يكتب لرئيس ولايات متحدة أن يكتب عنه، مباشرة بعد توليه الحكم، هذا الكم الهائل من الكتب: ما بين من ينشئ في «فضائحه»، ومن يحلل «سياسته»، ومن يذيع أسرار «حاشيته» و«حريمه»... والحال أنه لم يكن يُتصور أن يدلي فلاسفة جادون بدلوهم في رئيس عدو بلا مدافعة، الأعبث في تاريخ البلاد.

أكثر من هذا، لم يكن يُتصور أن يترك الفلاسفة جديتهم ليعبثوا مع وبرئيس أمريكي ويتسلوا معه وبه؛ إذ الإكثار من الجدية ممل، ولا يمكن التسلي إلا مع رئيس «شعبي». نتذكر بهذا الصد لقاء الكاتب الألماني الكبير جوته مع الإمبراطور الفرنسي نابليون، وقول هذا له: كلا، ما عادت المأساة الحديثة مسرحية تُؤلف، على نحو ما كان فعله الكتاب الإغريقي، وإنما أمست السياسة اليوم هي المأساة التي يؤلفها رجال صبهم القدر على الناس. لكن، ربما ما عادت المأساة اليوم ممكنة في السياسة، بل لربما تكون السياسة سائرة إلى الانقلاب إلى ملهارة.

يجمع هذا الكتاب بين دفتيه طائفة من المقالات الفلسفية ديجت بعد انتخاب ترامب رئيساً. وهو ما اعتبره الناشران، في تصديرهما للكتاب، بمثابة «تحذير جسيم»: أن تهتم الفلسفة برجل لا يهتم بكتب الفلسفة، وإنما كتاباه المفضلان، حسب تصريحه بنفسه، اثنان: التوراة وفن التفاوض. ينطلق الكتاب مما يسميه «الترامبية». نسبة إلى ترامب. وهي ممارسة سياسية تبحث لها عن نظرية ملائمة، ومثلما فعل الأمير بحذاء الساندريل، في الحدوثة المعروفة، يحاول الباحثون أن يقيسوا حذاء النظرية السياسية على رجل ترامب: أي نظرية فلسفية سياسية تعبر عن ممارسته السياسية على نحو أدق؟

تم تبويب الكتاب في ثلاثة أبواب: الفكر السياسي القديم والوسيط، والفكر السياسي الحديث والليبرالي (لا سيما منه الأنجلوسكسوني)، والفكر السياسي القاري (نسبة إلى قارة أوروبا الناطقة بغير الإنجليزية). ويريد الكتاب لنفسه أن يمتح



(٩)

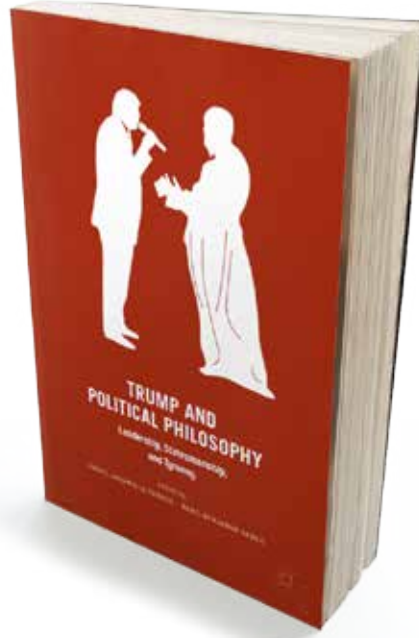
أرأيت لو أن كارل شميث نظر إلى ترامب، ما الذي عساه أن يقول عنه؟

فضل الباحث فيصل محمد التركيز على الفكر السياسي والقانوني الألماني كارل شميث الذي كان قد شدد على أن كنه السياسة إنما يكمن في التفرقة بين الصديق والعدو. فهلا أمكن تطبيق هذا المعيار على أنظار ترامب وتصرفاته، لا سيما على منع دخول بعض رعايا الدول الإسلامية إلى أمريكا؟ حسب المؤلف، تتجسد في إدارة ترامب كل ملامح الدكتاتورية التي أوكل إليها أمر البلاد والعباد بأن تتخذ القرارات الحاسمة في حال الاستثناء. وهذا يؤهل الرئيس لكي يداري حكم القانون. لكن المؤلف لا يدين هنا ترامب، وإنما يجد أنه حين يتصرف تصرف ديكتاتور، فإنه يستفيد من تقليد دستوري أمريكي عريق يتناغم مع فكرة الديكتاتور الموكول إليه التصرف في حال الاستثناء على طريقة ما ذهب إليه شميث. أكثر من هذا، منذ أن تحدث هاملتون عن سلطة تنفيذية «شيطانية» شجع ذلك الرئاسة على ادعاء حقها من جانب واحد في ممارسة القوة ضد العدو. وينهي فيصل محمد مقاله بنبرة تشاؤمية: إن ترامب إلا تمهيد لما سيأتي، وما سيأتي هو انتصار القوى الرجعية التي تدعي أن لها السيادة العزمية القرارية لخير الشعب ومصالحته.

وعلى الرغم من إيمان ناشري الكتاب بضرورة رسم صورة متوازنة لترامب بين المنتصر له والمنتصر ضده - الشيء الذي لم يتحقق - فإنهما يريان أن من واجب الباحثين، بوسمهم باحثين ومواطنين مهمتين بالشأن العام، توضيح الموقف من زعامة ترامب. وفي نظرهما، فإنه لئن كان الفكر السياسي القديم، الذي يركز على الفضيلة، قد صور الطغيان بحسابه دالة على الطبع الطغياني لصاحبه، فإن الفكر السياسي الحديث وما بعد الحديث يميل إلى التأكيد على أن نزوع الطاغية إلى فرض أهداف سياسية إنما هو أمر مضاد للمصلحة العامة. وبناء عليه، يؤمنان بأن ترامب يملك روح طاغية بالمعنيين معا، وأنه يتأرجح، في أرسومة الوغد والانشقائي والوطني، بين الوجهين الأول والثاني. ويتجلى وجه الطاغية فيه في أمرين: شخص عبد لشهواته وجشعه غير قادر على كبح جماح نفسه، وديماغوجي يذهب بعيدا في تحقيق شهواته إلى الشهرة والثروة والسلطة. وبعد، أرأيت لو أن حالة ترامب عرضت على أبي حيان التوحيدي؟ إذن لكان اكتفى أنها بالإشارة إليه والقول. كما قال في رسالته عن الصداقة والصديق. «وحب الجاه، وحب الرئاسة، وحب المال مهالك الخلق أجمعين».

– الكتاب: «ترامب والفلسفة السياسية: الزعامة والقيادة والطغيان»
– المؤلف: كتاب جماعي تحت إشراف أنجيل جاراميلو توريز ومارك بنيامين سيبيل
– الناشر: بالغريف ماكميلان، الإنجليزية، ٢٠١٨م
– عدد الصفحات: ٣٢٨ صفحة

* أكاديمي مغربي



«النخبة»: أي منتفض ضد أهل التدبير. فمع ترامب، ها هي أمريكا تعود إلى عالم مكيافي حيث المزايا السياسية العامة والصفوة. عادا إلى التصادم من جديد.

(٧)

أرأيت لو أن ترامب التقى بروسو، كيف كان هذا سيعتبره؟ بناء على استلهام كاتب هذا الفصل صنافة روسوية. الوغد (الغوغائي المهرج)، والوطني، والانشقائي. يطرح السؤال: هل ترامب رجل غوغائي أناني يسعى إلى السلطان السياسي من أجل غرض شخصي (الغوغائي)؟ أم هو رجل سياسة نبهه يستعمل الخطابة بغاية الدفاع عن وطنه (الوطني)؟ أم هو رجل ديماغوجي داهية يستغل الجماهير بغاية فرض أجندته الأيديولوجية (انشقائي)؟ وحسب صاحب البحث، جوزيف ريزرت، لو عرض ترامب على روسو لوجد أنه لا يمكن أن يصير أبدا رئيسا؛ وذلك لافتقاده إلى التجربة ولفقدانه الفضيلة المدنية. وإنه ثمرة مرة لتلفزيون الواقع ورسائل التواصل الجماهيرية ورمز «أقول التجربة المدنية والفضيلة المدنية لدى الجمهور». على أن روسو، إن كان له أن يتعاطف مع الرجل، فقد يتعاطف مع نزعة الإقليمية غير الكونية، ومع ذلك سوف يرفض تبنيه «للمال والتجارة».

(٨)

أرأيت لو أن ترامب التقى بماكس فيبر، كيف كان، يا ترى، سوف ينظر إليه؟

من منظور فيبري يتوسل مفهوم «الكاريزما» لفهم السلطة، يبدو أنه لئن كانت كليتون، في انتخابات ٢٠١٦، قد مثلت الكاريزما المؤسساتية وهي في أزمته، فإن ترامب قد مثل الكاريزما الشخصية، لا سيما في تحديه النيوليبرالية التي فقد الكثير من الناس الثقة فيها. كليتون ضد ترامب: كاريزما المؤسسة ضد كاريزما الشخص؛ مما يني عن أن هزيمة كليتون مثلت هزيمة نزعة قومية مدنية أمريكية قائمة على الحرية والفردية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية الشعبية والمساواة ما بعد العرقية، وهي القيم التي شكك فيها ترامب.

المقالة كيف كان سقراط يعلم الناس الاعتدال، بينما ترامب لا يمكن أن يقال عنه إنه أفاد درسا من سقراط. وفي الختام يوحى المؤلف بأن الجهل والجشع والإفراط تجعل الإنسان غير مناسب لتولي الحكم، وكل هذه الصور تجعل قناع ترامب يسقط.

(٤)

أرأيت لو أن ترامب التقى بكونفوشيوس، كيف كان سينظر هذا إليه؟

ما الذي كان يمكن أن يفكر فيه كونفوشيوس لو أن ترامب عاش في زمانه؟ يرى جورج دون أن الجواب عن هذا السؤال أمر شديد التعقيد. وهو جواب يتشكل من شقين: ما الذي يمكنه أن يتحملة فيه؟ وما الذي لا؟ من جهة، كلا الرجلين يتقاسم مع غيره النزعة المحافظة بحسبانها جزءا من تكوينها الشخصي؛ لأن كليهما عاش أو يعيش في زمن يعده زمنا فاسدا، ويحن إلى العيش في زمن يعده زمنا عظيما. ومن جهة ثانية، على خلاف ترامب يركز كونفوشيوس على ما يسميه «التهذيب» من أجل تجاوز حالة الإنسان الطبيعية؛ إذ التثقيف أمر أساسي عند كونفوشيوس وعند تلامذته من الفلاسفة الصينيين من أمثال مانغسو وكسونزي، ومن ثمة حديث كونفوشيوس عن «تكوين الإنسان التام». بلغة يحيى بن عدي. بحسبانها تكويننا ضروريا لرجل السياسة. وبهذا يوحى الباحث بأنه لو نظر كونفوشيوس إلى ترامب لما عده إنسانا تاما، وإنما اعتبره إنسانا ناقصا؛ ولعده كما عد أوسكار وايلد اللورد دارلينغتون: «الرجل الذي يعرف ثمن كل شيء، ولكنه لا يعرف قيمة أي شيء».

(٥)

أرأيت لو أن الفارابي صادف في زمانه ترامب، ماذا كان سيقول عنه؟

في بحث «ترامب والفارابي والمجتمع المفتوح» يدعونا كريستوف كولمو إلى إجراء تجربة ذهنية نتخيل من خلالها ما الذي يمكن أن يكون فكر فيه الفارابي لئن هو عرض على أنظاره النظام الأمريكي بعامة ونظام ترامب بخاصة؟ أولا؛ سوف يصدم من نظام حكم تم فيه الفصل بين الكنيسة والدولة، بحيث أمسى لكل واحد منهما مجال تأثيره الخاص، كما سيصدم من كون حرية الكلام باتت مكفولة بالدستور. ثانيا؛ ميز الفارابي بين حاكم يهتدي بالفلسفة، وآخر لا يهتدي إلا بالتجربة. وفي هذه الحالة، يمكن للروية والدهاء أن يعوضا حاجة الحاكم إلى الفلسفة. والحال أن ترامب من النوع الثاني. إذ يوحى صاحب المقالة أن ترامب يبدو، من منظور الفارابي، من رجال السياسة الذين لا يحتاجون إلى الفلسفة؛ لأنه يملك الدهاء الكافي، لكن روية الرجل لا تدفعه إلى الدفاع عن غايات كونية (إنسانية) وإنما عن غايات خاصة (قومية).

(٦)

أرأيت لو أن مكيافي استقبل ترامب، ما الذي كان سيقول عنه؟ كتب غلادن ببيان مقالة «السياسة المكيافية والتدبير الحديث ويزوغ ترامب». ويرى فيها أن الجامع بين مكيافي وترامب إنما هو مفهوم «التدبير»؛ لكنه يلاحظ أن التدبير الحديث ما عاد تدبيرا سياسيا وإنما أمسى تدبيرا تجاريا. ومن هنا ينظر إلى ترامب وكأنه أمير مكيافي معاصر، متحالف مع «العامة» ضد



تاريخ موجز للاقتصاد في القرن العشرين فليب شالمان

سعید بوكرامي *

مع بداية القرن العشرين، استبدت "العولمة" ديناميتها الاقتصادية والثقافية والسياسية، وقد تميزت منذ بدايتها بحرية كاملة تقريباً لحركة البشر والسلع ورأس المال. ومع مطلع القرن الحادي والعشرين، أي في العام 2001، كان انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية يرمز إلى عصر جديد من العولمة، ربما أكثر محدودية وبالقدر نفسه من الهشاشة. بين هذين الزمنين، شهد العالم حروباً وأزمات، محاولات للانغلاق المتشدد أو الانفتاح العارم في لعبة شد وجذب تزعمها المعسكر الاشتراكي، والمعسكر الرأسمالي ولكن عرفت أيضاً، هذه الفترة تقدماً كبيراً وتحدياً كبيراً لمعالجة الصدمة الديموغرافية في النصف الثاني من القرن. من عولمة إلى أخرى، تاريخ اقتصادي لهذا القرن العشرين المديد وهو قبل كل شيء تاريخ بحث، لم يكتمل قط، عن تحقيق التوازن بين النمو والعدالة الاجتماعية.

يشبه كتاب المؤرخ والاقتصادي فليب شالمان دروس ريموند آرون الثمانية عشر عن المجتمع الصناعي، خاصة في بعده البيداغوجي/التعليمي؛ لأن كتاب شالمان عبارة عن دروس جامعية وهي بالتحديد عشرون درساً عن التاريخ الاقتصادي للقرن العشرين. كانت موجهة إلى طلاب شهادة البكالوريوس في الاقتصاد والإدارة والرياضيات في جامعة باريس دوفين. لكن الكاتب فضل أن يستهدف القارئ عموماً في القرن الحادي والعشرين" (ص: 6) يقترح لهذا الغرض معرفة مختصرة وخالية من الهوامش والمراجع، ليصبح الكتاب موجزاً تاريخياً لا غنى عنه، لأنه لا يهمل المعطيات المعرفية اللازمة لكل طالب وباحث وقارئ شغوف بمعرفة تطورات مفصلة انبثقت من الاقتصاد وانعكست على البنيات الاجتماعية الأخرى.

بعد هذه الهفوات الأولى، يوجه المؤلف القارئ إلى نقاش نقدي بشأن بعض الأحداث والإثباتات. على سبيل المثال، فيما يتعلق بانخفاض البطالة في بداية التاريخ الثالث (الفصل 6)، لم يذكر المؤلف بعض الحلول التي استخدمتها السلطات في ذلك الوقت مثل تقييد عرض العمل، كما أنه لم ينظر بشكل دقيق إلى إحصائيات البطالة أو فعالية الأساليب المستخدمة للتقليل منها. وبالنظر هذه المرة إلى «بقية العالم» (التي سميت فيما بعد «العالم الثالث») من أواخر القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين، كتب فليب شالمان: «عندما لا يستعمر بشكل مباشر فإنه يخضع للهيمنة السياسية والاقتصادية. هذا العالم «العالم الثالث» لم يدخل فعلاً تاريخ كوكبنا الاقتصادي» (ص: 32-33). وقد بين المؤرخون ذلك، أمثال كينيث بوميرانز الذي أظهر كيف استطاعت إنجلترا أن تحرر نفسها من القيود الطبيعية، بخصوص استخدام الفحم، وذلك باستغلال أراضي مستعمراتها في العالم الجديد، مما أسهم مساهمة كبيرة في نموها السريع.

ولهذه الفترة، يُخصص فليب شالمان ستة فصول. قام أولاً بتشخيص الوضع العالمي في عام 1913، حيث ربطه بمفهوم العولمة مدرجاً بعض الأرقام التي تجعل من الممكن قياس التغييرات الحديثة في ذلك الوقت. نذكر منها أن خط السكك الحديدية انتقل من 350 ألف كيلومتر في عام 1880، إلى 750 ألف كيلومتر في عام 1900 ثم إلى مليون في عام 1920. حينذاك كانت لندن

ويُمكن قراءة كتاب يحتوي على أكثر من 260 صفحة بسرعة ودون صعوبة كبيرة، وبالترتيب الذي نريده؛ نظراً لأن المؤلف متخصص في أسواق السلع، ونلاحظ أن متابعته للتطورات تتميز بالدقة والخصوبة المعرفية، وهذا يشكل مساهمة مهمة. يشعر القارئ باستمرار أن شالمان في حالة تأهب دائم وأحياناً تكون ملاحظاته لاذعة ومنمّدة، كما هو الحال عندما يذكر «علماء القياس الذين يجعلون معادلاتهم تقول أي شيء وكيفما اتفق» (ص: 15). ومع ذلك، هناك حاجة لتوضيح ملاحظات عديدة بمجرد الانتهاء من القراءة.

وفي البداية، يميل المؤلف في بعض الأحيان إلى استخدام الصيغ العامة التي تبدو مبالغاً فيها. وهكذا يمكن أن نقرأ أن بداية الحرب العظمى تشير إلى «نهاية الاستهتار بمصير خمسة وستين مليون رجل شاركوا في هذا الصراع» (ص: 36)، وأن الثلاثين سنة المجيدة هي بالنسبة للعالم الغربي «تلك الفترة الاستثنائية» (ص: 122)، وأن العقد الأخير من القرن العشرين هو «عصر السعادة الاقتصادية» بالنسبة للبلدان المتقدمة (ص: 292): عندئذ يتساءل القارئ عما إذا كانت بعض الشعوب وبعض الظواهر المهمة قد أهملت خلال هذا التوصيف التاريخي، وسريعا يبرز للقارئ أن تخوفه حقيقي؛ إذ يظهر بالفعل في الصفحة السابعة عندما يكتب المؤلف أنه بالنسبة للمؤرخ، «لا تكاد توجد أي أحداث بارزة بين عامي 1880 و1913». وهذا قفز متعمد على مجموعة من الأحداث الاقتصادية المهمة.

ويقدم هذا التاريخ الاقتصادي الموجز، المنتظم في عشرين درساً، تركيباً زمنياً بشكل أساسي يمتد من عام 1913 إلى عام 2018. كما يشير العنوان الفرعي للكتاب، يتجول المرء خلال هاته العقود بين عولمة وأخرى. هذه الدورة الدراسية المقترحة عن العولمة يحدها الكتاب في العناصر الرئيسية الثلاثة لهذه الظاهرة التي تشترك فيها البلدان كلها، وهي: انفتاح الأسواق، التقدم التقني، على الرغم من أن هاتين الظاهرتين تأثرتا تأثراً كبيراً بظاهرة الهجرة، ثم التقسيم الدولي للعمل، ونتائجها المنعكسة على إعادة التوزيع ودور الشركات متعددة الجنسيات والمجال المالي.

وينتقل المؤلف في فصول الكتاب إلى عرض ما يمكن أن يتوقعه القارئ من كتاب عن التاريخ الاقتصادي، يتناول القرن العشرين المديد، بحيث يجول في الفترة التي تمت معالجتها، بدءاً من عام 1913، الحرب العظمى، والعشرينيات الصاخبة، وأزمة 1929، وردود الفعل على هذه الأزمة، ظهور «الليوتوبيا الشيوعية»، والحرب العالمية الثانية، وبدايات فترة ما بعد الحرب، والعقود الثلاثة المجيدة، التي بنيت فيها أوروبا، وانتشار «الوهم الشيوعي»، وولادة دول العالم الثالث، وأزمة 1974 التي وقعت في العالم الثالث، والركود الاقتصادي للدول الغربية في 1980، وانتعاش هذه البلدان والثورة الصناعية الثالثة، ودخول الصين إلى عالم المنافسة الاقتصادية و بروز البلدان الناشئة والواعدة، ثم تضجر أزمة الرهن العقاري وما ترتب عنها من نتائج سلبية وأخيراً العالم في عام 2018 وأفاقه المنتظرة.



المؤلف إلى ضرورة تذكر ثلاث أفكار قوية، هي تجديد الليبرالية الاقتصادية وأزمة الاقتصادات المختلطة واختفاء البديل الشيوعي.

هناك أيضا انتعاش اقتصادي قدم غالبا على أنه ثورة صناعية ثالثة. في حين أن المصطلح لا يبدو الأنسب بالنسبة للمؤلف، إلا أنه يسלט الضوء على بعض النقاط البارزة التي تظهر التحول نحو عصر جديد يتميز بالحضور الهائل لاستخدامات الكمبيوتر والبرامج والتطبيقات. في عام 1983 كان هناك 13 مليون جهاز فقط في العالم، ثم صار أكثر من 60 مليون جهاز في بداية التسعينيات. ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الصين والدول الناشئة، ويختار فيليب شالمان الرجوع إلى الوراء، للحدث عن «عودة الصين»، إذا فكرنا في

الوزن الذي احتلته خلال ثلاثة قرون. كما يشير إلى الأهمية الاقتصادية البالغة التي لعبها النموذج الصيني في انتشار ظاهرة العولمة. كما يذكر، على سبيل المثال، الرهان الصيني الصعب كي تحافظ على مستوى النمو الكافي، لتوفير الوظائف اللازمة لاستيعاب عشرين مليون مهاجر ريفي يصلون إلى المدن الكبرى كل عام. يركز الفصل قبل الأخير على أزمة عام 2008 حيث كان الانخفاض في الناتج المحلي الإجمالي حاداً في العديد من البلدان، لكن المؤلف اختار بدلاً من ذلك التأكيد على أن ذكرى هذه الأزمة ستلاشى شيئاً فشيئاً كما حدث مع عشرات الأزمات التي أصابت نهاية القرن التاسع عشر. يحاول الفصل الأخير استخلاص بعض وجهات النظر، والممارسات المعقدة دائماً: لقد تراجع الفقر المدقع، لكن تبقى مظاهر عدم المساواة مذهلة وفي كل أنحاء العالم.

وتتسم قراءة هذا الكتاب البيداغوجي المهم بسهولة ومتعة، كما يقدم مقارنة بانورامية ناجحة جداً، يعطي من خلالها فيليب شالمان مفاتيح مهمة لفهم عالمنا الاقتصادي والتفكير في آليات العولمة ونظم اشتغالها ومحاولة توقع الأزمات الاقتصادية قبل حدوثها.

– الكتاب: «تاريخ موجز للاقتصاد في القرن العشرين الجديد: من عولمة إلى أخرى (1913-2018)»

– المؤلف: فيليب شالمان

– الناشر: دار فرانسوا بوران، باريس،

فرنسا، 2019، باللغة الفرنسية

– عدد الصفحات: 272 صفحة

* كاتب مغربي



إلى أن نسبة الناتج المحلي الإجمالي العالمي بلغت 28٪ في عام 1995، وبذلك كان الاتحاد الأوروبي أكبر اقتصاد في العالم قبل الولايات المتحدة. كما يعرج المؤلف على يوتوبيا الشيوعية التي سبقت عام 1945، وقد اختار المؤلف مصطلح «الوهم الاقتصادي» لوصف الفترة الممتدة حتى عام 1970. إذ بلغت الميزانية العسكرية 20٪ من الناتج المحلي الإجمالي للاتحاد السوفياتي. يناقش المؤلف أيضاً الوضع في أوروبا الشرقية، مشدداً على أنه بعد عام 1958 «أصبحت المسارات أكثر تنوعاً». وبخصوص «ولادة العالم الثالث»، يشير فيليب شالمان إلى أهمية الصدمة الديموغرافية التي أعاقت نمو هذه البلدان، وتخبطها في البحث عن نماذج اقتصادية، مما انعكس على مقاييس نموها.

الفصول الستة التالية ستمكننا من مسح للأربعين سنة الماضية. وخلالها يصير المؤلف على التحول الكبير الذي عرفته فترة السبعينيات، ويظهر في السيطرة على النفط، بحيث «غيرت القوة معسكرها»، كما يقول فيليب شالمان. أما العالم الثالث، فلا يزال يعيش مأزق تزايد الديون حتى وهو على مشارف نهاية القرن العشرين. ثم يتحدث المؤلف عن «تحول كبير في السياسات الاقتصادية» ويرمز إليه غالباً في عالم الاقتصاد بـ «أولاد شيكاغو» وينتهي الفصل بتفتت مفهوم العالم الثالث وعدم جدواه؛ لأنه بالنسبة للمؤلف، هناك بلدان تحتوي من جهة على مواد خام مهمة غالباً ما يكون تديرها شيئاً بل كارثياً في بعض الحالات، وهناك من جهة أخرى بلدان نامية سابقاً لم يتحرك نموها وبدأت تتراجع على مستويات عديدة. أما على صعيد الدول الغربية، يشير

ما تزال تسيطر على العالم بحيث تستثمر ثلث الثروة البريطانية في الخارج. ثم يكرس المؤلف فصلاً للحرب العالمية الأولى وعواقبها، في فصل واضح ومركب جداً. لقد شهدت العشرينيات من القرن الماضي تأكيد قوة الولايات المتحدة وخير مثال على ذلك قطاع السيارات. يتناول فيليب شالمان أيضاً حالة الكساد الاقتصادي الكبير من خلال التذكير بأن «أزمة البورصة، أصبحت مصرفية منذ بداية عام 1930 وهذا ما زلزل صرح الائتمان كلياً». يمكن قياس حجم الأزمة من خلال الناتج المحلي الإجمالي. في الولايات المتحدة، لم يمثل عام 1933 سوى 69٪ مقارنة بالعام 1929 وهنا يقتبس المؤلف كلام المؤرخ البريطاني إريك هوبسباون الذي قال: «إن الكساد العظيم دمر الليبرالية الاقتصادية طوال نصف قرن». سيناقد المؤلف الأيجابية عن الأزمة في الفصل التالي وهنا يصير فيليب شالمان على أن الصفقة الجديدة كانت قبل كل شيء «موقفاً أكثر منه سياسة متماسكة فحسب». على الرغم من التحسن الاقتصادي، إلا أن أزمة البطالة فرضت جسامتها بحيث كان هناك 9,4 مليون عاطل عن العمل عشية الحرب العالمية الثانية. أما على الجانب الفرنسي، فنعرف أن الأزمة كانت أكثر ليونة وأطول أمداً. لم ينس المؤلف «العالم الشيوعي» مذكراً بأنه في عام 1913، قدمت روسيا كل المؤشرات على أنها دولة «نامية» وهكذا قدم حصيلة سياستها الاقتصادية الجديدة الإيجابية، لكنه في السياق ذاته يشير إلى فشل الاتحاد السوفياتي في أن يكون نموذجاً اقتصادياً.

ويقدم فيليب شالمان عرضاً شاملاً عن اقتصاديات الحرب، لمناقشة طريقة عمل نظام يعمل على القوى العاملة في معسكرات الاعتقال. يمكن قراءة النتائج الاقتصادية للحرب مرة أخرى من خلال الناتج المحلي الإجمالي: بالنسبة لفرنسا في عام 1944 مقارنة بعام 1938. كانت نتائج الحرب حاسمة مع إنشاء العديد من المؤسسات والمبادئ التي ما زلنا نعيشها إلى اليوم. إنه عصر دولة التعااضد وتقوية الدولة بشكل عام. ثم يتناول «الثلاثين عاماً المجيدة» من خلال التذكير، إضافة إلى بعض الأرقام المرجعية، بالعديد الكبير للاختراعات التي اخترعت وتم اختبارها بنجاح. كما يعرج على الإنتاج الزراعي الذي عرف نمواً بعمدلات مثيرة للإعجاب. وهنا توقف فيليب شالمان عند النموذج الفرنسي بحيث قال عنه: «كانت فرنسا هي النموذج الوحيد الذي نجح!». في الفصل الحادي عشر يهتم بعملية بناء أوروبا ونتائج توقيع معاهدة روما؛ ليخلص



الناس، والسلطة، والأرباح جوزيف ستيجليتز

محمد السالمي *

منذ أن اعتلى دونالد ترامب كرسي الرئاسة الأمريكية تولد لدى أغلبنا شعور بأن الاقتصاد الأمريكي والحكومة يميلان نحو الأعمال التجارية الكبرى وقد أظهرتها المؤشرات الاقتصادية بالإيجاب، ولكن في مكان ما فقدت أمريكا طريقها. تتحكم مجموعات اللوبي خلف الكواليس في تنظيم الاقتصاد وتطويره لأغراضها الخاصة؛ والصفقات التجارية قد تتطور ويكون ضحيتها العمال.

أن أمريكا لا تتفوق في النمو، فإنها تفعل ذلك في حالة عدم المساواة، ويؤكد ستيجليتز أنه قد ينظر الكثيرون في أوروبا بحسد إلى ثروات أمريكا وديناميتها؛ إلا أن القلة يريدون نموذجها الاجتماعي وعدم المساواة. بشكل عام، فإن أمريكا أغنى من فرنسا، لكن من المرجح أن يتمتع الرجل الفرنسي النموذجي بمستوى معيشي أعلى. يمكن للولايات المتحدة، بل ويجب عليها، أن تفعل ما هو أفضل لمواطنيها الفقراء، ويمكن لدولة تدخل أن تساعد معظم الأمريكيين على طول الطريق، ولكن هذا وحده لن يعيدنا إلى «العصر الذهبي للأسمالية».

إن تشخيص ستيجليتز لما يعانيه الاقتصاد الأمريكي سيكون له حلقة مألوفة لكل من تابع هذه النقاشات. لقد تم تكديس قواعد اللعبة لصالح من يملكون ضد من لا يملكون. وقد أدى ذلك إلى زيادة عدم المساواة الاقتصادية وزيادة تركيز القوة السوقية بين الشركات الرائدة في كل قطاع، مما أدى إلى إبطاء نمو الإنتاجية على نطاق واسع. تقوم هذه الشركات والأفراد الأثرياء بتحويل ثرواتهم إلى سلطة سياسية، مما يراجع القواعد لترسيخ مكانتهم في القمة. إنهم يدافعون عن التخفيضات الضريبية وإلغاء الضوابط التنظيمية لكل شيء باستثناء حقوق الملكية الفكرية. أي شخص يعتمد على المؤسسات التعويضية، مثل التعليم العام أو النقابات العمالية أو شبكات الأمان الاجتماعي، يخسر!

يشير الكاتب إلى تباطؤ النمو الاقتصادي باعتباره أحد إخفاقات الرأسمالية الأمريكية. ويذكر أن النمو الاقتصادي الأمريكي السنوي ما بين 1947 إلى 1980 قد تباطأ من 3,7% إلى 2,7% ما بعد 1980.

نوبل، وهو مؤلف للعديد من الكتب الأكثر مبيعاً من ضمنها إنجاح العولمة، والاستقرار مع النمو، وإلى أين الاشتراكية؟ وغيرها من الكتب. كما كان رئيساً لمجلس المستشارين الاقتصاديين في عهد الرئيس كلينتون، وكبير الاقتصاديين في البنك الدولي، وقد صنفته التايم من المؤثرين الـ 100، ويعمل الآن أستاذاً في جامعة كولومبيا وهو كبير الاقتصاديين في معهد روزفلت.

يتناول النصف الأول من الكتاب أربعة اتجاهات يعتقد المؤلف أنها قادت الولايات المتحدة إلى اقتصاد كئيب متمثل في القوة الاحتكارية، وسوء إدارة العولمة، وسوء التنظيم المالي والتكنولوجيات الجديدة التي تتيح مزيداً من الاستغلال والتلاعب النفسي. أما في الجزء الثاني فيحدد الكاتب ما يجب القيام به بعد ذلك.

من بين الدول الكبيرة والغنية، تظل الولايات المتحدة في طليعة التقدم التكنولوجي، ولا زالت المؤشرات الاقتصادية تقدم واحدة من أفضل العروض منذ الأزمة المالية في عام 2008. في المقابل، فإن الاقتصادات الأوروبية ذات التنظيم الأقوى، والمستويات الأعلى من التدخل الحكومي، والنهج الأكثر عدوانية تجاه الاحتكار، لم تكن على حالها كما كانت في السابق. أظهرت ورقة عمل أصدرها مؤخراً المكتب الوطني للبحوث الاقتصادية من روبرت جوردون وحسن سيد أن معظم النمو السريع لأوروبا في النصف الثاني من القرن العشرين جاء على الأرجح من اللحاق بالولايات المتحدة. وعلى مدى العقود القليلة الماضية، شهدت أوروبا الغربية نفس التباطؤ، في حين الصناعات بالضبط، مثل الولايات المتحدة. في حين

إجمالاً، يمكن القول أن الديمقراطية تخاطر بأن تصبح أكثر من مجرد مسابقة مزيفة بين القلة. هذه الصورة القائمة للولايات المتحدة رسمها الاقتصادي جوزيف ستيجليتز الحائز على جائزة نوبل. في هذا الكتاب، يضع أجندة تقدمية يأمل منها أن تنقذ الرأسمالية من نفسها حسب وصفه. وكما يوضح جوزيف ستيجليتز في كتابه الجديد «الناس، والسلطة، والأرباح»، فإن الوضع سيء للغاية. لقد سيطر عدد قليل من الشركات على قطاعات الاقتصاد بأكملها، مما ساهم في زيادة عدم المساواة والبطء في النمو. هذه هي الطريقة التي مكنت الشركات من كتابة لوائحها الخاصة، وقد استطاعت شركات التكنولوجيا من جمع البيانات الشخصية وترسيخها لأهدافهم الربحية، وقد تفاوضت الحكومة الأمريكية على صفقات تجارية تفشل في تمثيل المصالح الفضلى للعمال. لقد حقق الكثيرون ثرواتهم من خلال استغلال الآخرين بدلاً من خلق الثروة. وإذا لم يتم القيام بشيء ما، فإن التقنيات الجديدة قد تزيد الأمور سوءاً وتزيد من عدم المساواة والبطالة.

وكما أشار الكاتب ليس فقط الاقتصاد هو الذي فشل، ولكن أيضاً سياساتنا. فقد أدت الضجوة الاقتصادية لدينا إلى انقسام سياسي. يحدد ستيجليتز المصادر الحقيقية للثروة والزيادات في مستويات المعيشة، بناءً على التعلم والتقدم في العلوم والتكنولوجيا وسيادة القانون. إنه يظهر أن الاعتداء على القضاء والجامعات ووسائل الإعلام يقوض المؤسسات ذاتها التي طالما كانت أساس القوة الاقتصادية الأمريكية وديمقراطيتها.

جوزيف ستيجليتز خبير اقتصادي حائز على جائزة



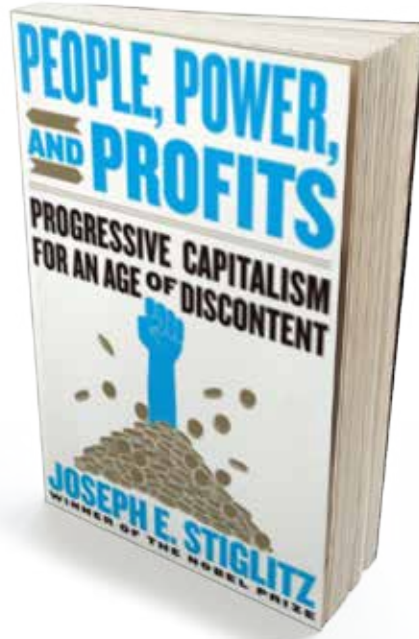
منها تجريد نفسها من الانستجرام والواتس أب. وفيما يتعلق بإصلاح عدم المساواة، يستشهد الكاتب بسياسات مثل الحد الأدنى للأجور وضريبة الدخل المكتسب الأعلى «أي ضريبة نسبية لذوي الدخل المرتفع»، كما تنشئ الحكومة برنامجاً أساسياً بديلاً لتوفير منتجات مثل التأمين الصحي أو المعاشات التقاعدية أو القروض العقارية. في نهاية المطاف، يعتقد ستيجليتز أن الاستثمار في «المعرفة والتعلم ودعم التقدم في العلوم والتكنولوجيا» هو المصدر الحقيقي لثروة البلد. إنه يختتم ملاحظة إيجابية نادرة خلصت إلى أنه «لم يفت الأوان بعد لإنقاذ الرأسمالية من نفسها».

لاريب أننا نواجه تحديات عالمية من الهجرة إلى تغير المناخ وغيرها. هذه التحديات تتطلب تغييراً جذرياً في مجتمعنا. قد يرى البعض أنه فات الأوان بالفعل لتجنب هذه الكارثة، ولكن مع السياسات الصحيحة يمكننا أن نأمل في احتواء الأضرار وتصحيح المسار. النقطة ليست في تحويل الولايات المتحدة إلى الدنمارك أو النرويج. يعرف ستيجليتز أنه لن ينجح هذا التوجه أبداً. في هذا الكتاب، يشير الكاتب أنه غالباً ما تكون الحلول الاقتصادية واضحة تماماً. وما نحتاجه إلى استغلال فوائد الأسواق أثناء ترويض تجاوزاتها، والتأكد من أن الأسواق تعمل من أجلنا. إذا احتشد عدد كاف من المواطنين وراء أجندة التغيير المبينة في هذا الكتاب، فربما لم يفت الأوان لإنشاء رأسمالية تقدمية من شأنها إعادة بناء ازدهار مشترك. فهذا الكتاب تشخيص لمشاكلنا ولكن الأهم من ذلك أنه يقترح حلاً: الرأسمالية التقدمية. حل يتكيف مع أمريكا وثقافتها وتقاليدها.

تفاصيل الكتاب:

الكتاب: الناس، والسلطة، والأرباح:
الرأسمالية التقدمية لعصر السخط
المؤلف: جوزيف إي ستيجليتز
الناشر: W. W. Norton & Company
سنة النشر: ٢٠١٩
عدد الصفحات: ٣٦٦

* كاتب عماني



تجاوزات التلوث إلى عدم الاستقرار المالي وعدم المساواة الاقتصادية، تم إنشاؤها بواسطة الأسواق. يقترح الكاتب مجموعة كاملة من الإصلاحات، بما في ذلك الاستثمارات الكبيرة في المنافع العامة مثل البحوث الأساسية، وتنظيم أكثر صرامة للشركات، وتدابير لحماية حق العمال. هناك ستة تغييرات محددة تحفز دعوة الكاتب لمزيد من تدخل الحكومة: الحاجة إلى الاستثمار في المعرفة، والتخطيط للتحضر، ومكافحة تغير المناخ العالمي؛ والتعامل مع الاقتصاد المتزايد التعقيد، ومعالجة التغيير الاقتصادي؛ وإدارة العولمة. على سبيل المثال، يذكر أن المشكلة في العقود الأخيرة هي أنه لا توجد مشاركة جيدة في القوى العاملة أو الإنتاجية. وبالنسبة للمشاركة في العمل، يقترح المزيد من «السياسات الصديقة للأسرة» مثل «سياسة أفضل للإجازة العائلية».

أما بالنسبة للإنتاجية، فإن «الاحتكارات لديها حافز أقل للابتكار»، وبالتالي فإن «كبح قوة السوق» جزء من جدول الأعمال. يناقش ستيجليتز سياسة مكافحة الاحتكار التي تستهدف الاحتكارات في عدة نقاط. وتجدر الإشارة إلى أننا لا نريد السماح للشركات العملاقة أن تركز «بإحباط المنافسة» من خلال عمليات الاستحواذ. في هذا السياق، يقترح أن تنظر الحكومة في الفيسبوك بعناية أكبر ويطلب

والملاحظ أيضاً، أن نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي ليس في المرتبة الأولى عالمياً. حيث ذكرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية أنه بناءً على نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي على أساس تعادل القوة الشرائية، تحتل الولايات المتحدة المرتبة ١٩ في العالم.

تشمل الإخفاقات الاقتصادية الأخرى للرأسمالية الأمريكية الفضل في التعامل بشكل جيد مع الانتقال من الاقتصاد التصنيعي إلى اقتصاد قطاع الخدمات، وترويض القطاع المالي، وإدارة العولمة بشكل صحيح وفهم عواقبها، والأهم من ذلك، الاستجابة لعدم المساواة المتزايد. ما هي أسباب هذه الإخفاقات؟ يشعر الكاتب بأن أهم الأسباب هي «الاستغلال»، بدءاً من قوة السوق، ويقدم ستيجليتز بيانات توضح زيادة التركيز، حيث إننا نراها في الخيارات المحدودة التي نواجهها للتلفزيون الكابلي أو الإنترنت أو الخدمات الهاتفية. تمتلك ثلاث شركات حصة سوقية تبلغ ٨٩ بالمائة في مواقع الشبكات الاجتماعية، و٨٧ بالمائة في متاجر تحسين المنازل، وما إلى ذلك. بالإضافة، تسبب التمويل في مشاكل خطيرة فالتمويل كان محورياً في خلق ضائقة اقتصادية واجتماعية وسياسية في الوقت الحالي.

يقدم الكاتب بياناً واسع النطاق حول إخفاقات الرأسمالية الأمريكية، ويقدم مجموعة من السياسات لمعالجة تلك الإخفاقات. على سبيل المثال، يوصي ستيجليتز بأن نستبعد الرأي القائل إن سبب فوز الولايات المتحدة بالحرب الباردة، يتمثل في انتصار النظام الاقتصادي الأمريكي والمتمثل برأسمالية السوق الحرة فهو يجادل بأنه لم تكن رأسمالية السوق الحرة التي أثبتت تفوقها، ولكن الشيوعية هي التي فشلت. والأكثر إثارة للدهشة هو أن اقتصاد السوق «الاشتراكي الصيني ذي الخصائص الصينية» قد وفر رؤية بديلة وديناميكية ويخلص إلى حاجتنا لدفن غطرستنا بشأن نظامنا الاقتصادي.

هذا الكتاب يتجاوز التشخيص إلى العلاج. في صلب خطة ستيجليتز في تعزيز تدخل الدولة. إن الرأي القائل إن الحكومة هي المشكلة وليست الحل، هو ببساطة مخطئ. على العكس من ذلك، فإن العديد من مشاكل مجتمعنا، إن لم يكن معظمها، من



حروب غير موثوق بها ياكوف كادمي

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

فضلاً عن روح المغامرة التي تحلى بها، فقد واجه مؤلف هذا الكتاب (ياكوف كادمي) على الدوام تحديات جمة، ولكنه لم يتهرب من مواجهتها، فمن الانخراط في معارك يائسة وفي حروب غير موثوق بجدواها وتناجها، كصراعه مع النظام البيروقراطي الشيوعي من أجل الهجرة من الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل، أو مشاركته في حرب "يوم القيامة" التي ذهب ياكوف كادمي إليها منضماً إلى كتيبة إيهود باراك (رئيس الوزراء الإسرائيلي في المستقبل) أو العمل لاحقاً في المخابرات الإسرائيلية الأكثر سرية "ناتيف". لم يتوقف طموح ياكوف كادمي عند نجاح اختراقه للستار الحديدي للاتحاد السوفيتي وفراره إلى إسرائيل، حيث كان من اليهود الأوائل الذين هاجروا من روسيا إلى إسرائيل، بل واصل طريقه المهني وصعد درجاته حتى أصبح رئيساً لشعبة الـ "ناتيف" (وهي شعبة فريدة من نوعها، مهمتها تنظيم انتقال اليهود إلى إسرائيل) فضلاً عن أنه حقق تغييراً جذرياً في سياسة هذه المؤسسة الإسرائيلية. وبفضل جهود كادمي تم إخراج عدد هائل من اليهود من الاتحاد السوفياتي في أوائل التسعينيات القرن الماضي.

(ص: ٥٠). والحال كذلك فإن حدثاً كحرب الأيام الستة لا يمكن أن يغيب عن كتاب مثل هذا، فنجد أن المؤلف يتحدث عنها ولكن من وجهة نظر ترى الحرب وتقديرها بمنظار التأثير على نضال اليهود في الهجرة إلى إسرائيل. فيكتب أن ظهور الجيش الإسرائيلي في مرتفعات الجولان خلق انطباعاً بأن الهجوم الإسرائيلي على دمشق وسقوط النظام الموالي للسوفييت في سوريا كان محتملاً، وهو ما دفع الاتحاد السوفيتي إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وبالتالي توقف تيار المهاجرين إلى إسرائيل الذي كان قد بدأ لتوه في اكتساب ديناميكيته. ومثلما يؤكد كادمي فإن هذا الوضع الدقيق نتج عنه إيقاظ الدوافع الكامنة عند اليهود وحفزهم لبذل مجهود مضاعف لهجرة اليهود السوفيت إلى إسرائيل. يقول الكاتب في هذا السياق: «هناك جانب آخر من حرب الأيام الستة وهو أنها وضعت إسرائيل أخيراً في مركز اهتمام يهود العالم. فتحت تأثير هذه الحرب بدأت عملية استثمار قوة ونشاط الشعب اليهودي حول العالم لصالح إسرائيل، وأخيراً انتهت الخلافات بين المنظمات اليهودية بشأن إعادة توطين اليهود في إسرائيل (...) وقد ألهب انتصار إسرائيل في الحرب إلهام اليهود وأدى إلى نمو التضامن الوطني معهم في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الاتحاد السوفيتي، ما سرّع من اتخاذ إجراءات أكثر حسماً باسم إسرائيل» (ص: ٥١).

وبحسب نظرة مؤلف الكتاب فإن موظفي «ناتيف» ودوائر المخابرات الإسرائيلية كانوا قاصرين عن فهم جوهر العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والدول العربية بشكل كامل، وكان الرأي السائد في إسرائيل أن الكشف

للاضطهاد، وقد كان البادئ في التنكيل بالحركة الصهيونية وتصفيتها من اليهود السوفيت أنفسهم، ونعني بهم الأعضاء في الحزب البلشفي. ولكن، وبعد الحرب العالمية الثانية، حين أصبحت الولايات المتحدة العدو الرئيسي والأخطر للاتحاد السوفيتي (حسب نظرة ستالين للأمر) وحين غدت أمريكا أكبر وأقوى مجتمع يهودي في العالم، حينها فقط أثار وجود اليهود في روسيا مختلف النوازع في الدولة السوفيتية، فأغلق الطريق أمام اليهود للخروج إلى دولة إسرائيل الناشئة وتم عزلهم داخل الستار الحديدي.

لا يقتصر ياكوف كادمي على وضع تحليل عام للمسألة اليهودية في الاتحاد السوفيتي، فيورد في كتابه وقائع مؤثرة وتفصيل جانبية ولكنها غاية في الرمزية وتدل على نمط من الأفكار كان في طور نشوئه آنذاك، يقول في هذه الصدد: «في ريغا (عاصمة لاتفيا) ترأس جوزيف شنايدر مجموعة طلبة لدراسة العبرية. كان شنايدر قنصاً، وإلى جانب تدريسه اللغة لطلبته، كان يلقنهم طريقة استخدام السلاح ويقول لهم: عندما نرحل إلى بلادنا يجب أن نكون مجهزين بمعرفة اللغة وبكيفية إطلاق النار كذلك. وقد تم اعتقال شنايدر بعد حملة سيناء بتهمة عجيبة تماماً: التخطيط لاغتيال الرئيس المصري جمال عبد الناصر (...) في ذلك الوقت قامت أحواض بناء السفن في ريغا ببناء غواصات للأسطول المصري، وزار ناصر عاصمة لاتفيا أثناء زيارته للاتحاد السوفيتي. وقد اندهش الجميع من الاتهام الذي اخترعه المحقق لشنايدر، لكن شنايدر اعترف لي بعد سنوات إسرائيل قائلاً: اضحك ما شاء لك الضحك ولكنني فكرت حقاً في اغتيال ناصر»

يرسم هذا الكتاب الذي صدر حديثاً في موسكو باللغة الروسية مشهداً بانورامياً يغطي فترة تاريخية حاسمة لليهود ولدولة إسرائيل. كما يسلط الضوء على حيثيات مقاومة النظام السوفيتي الذي كان تقدير صرامته، مثلما يشير الكاتب، تقديراً مبالغاً فيه سواء في إسرائيل أو في الغرب. وهو في الوقت نفسه (أي الكتاب) تحليل نقدي للصراع بين الإدارات في هيكل الدولة الإسرائيلية، وأخطاء قيادتها العسكرية التي أسفرت عن خسائر غير مبررة للجيش الإسرائيلي. وإلى جانب هذا وذاك يقدم لنا الكتاب وصفاً لحالات التمييز الخطيرة ضد اليهود السوفيت في إسرائيل، والدعوة إلى إصلاحات من شأنها أن تخرج البلاد من الأزمة النظامية التي وقعت فيها اليوم.

ويوجه كادمي في كتابه نقداً حاداً لا هوادة فيها للجيش الإسرائيلي والمؤسسات الإسرائيلية ونخب السلطة، من اليمين ومن اليسار، وهو نقد مقرون بأفكار الكاتب حول مختلف الأحداث في الحياة العسكرية والسياسية لإسرائيل، وهو أيضاً نقد معزز بوجهة نظر «الوافد الجديد» الذي بذل كل ما بوسعه للعثور على مكانته في «البلاد الجديدة».

يعرض المؤلف صورة كاملة لتاريخ المسألة اليهودية في الاتحاد السوفيتي. فمن المعروف أنه، وحتى قبل الحرب العالمية الثانية، لم تشكل المسألة اليهودية قضية تستحق الالتفات إليها من قبل القيادة السوفيتية، حيث رأى زعيم الثورة الاشتراكية لينين، ومن بعده ستالين، حلاً طبيعياً لها يكمن في الاستيعاب التدريجي لليهود في المجتمع الروسي والسوفيتي. كانت المنظمات والحركات المتطرفة هي وحدها التي تعرضت



إسرائيل من غير اليهود الذين أتوا إليها من الاتحاد السوفيتي والدول التي نشأت على أنقاضها؟ ويجب عن هذا السؤال: سيكون اقتصاد إسرائيل أقل بنسبة ٢٥٪ إن لم يكن أقل من ذلك. وسنبقى من غير صناعة عالية التقنية. وسينقص عدد جنودنا بنسبة ٢٠٪. سيختلف نظامنا السياسي والديموغرافي على نحو كلي، وبعدها سنطرح السؤال التالي: هل سيكون لهذه الدولة الضعيفة نفس القدرة على مواجهة الصعوبات التي تتشكل أمام إسرائيل اليوم؟ لقد وصل هذا المليون من اليهود السوفيت إلى إسرائيل عن طريق الصدفة، وكان بإمكانهم الرحيل إلى بلاد غير إسرائيل. ولكن الواقع يقول إنه بدون هذا المليون لوقعت إسرائيل في واحدة من أخطر أزماتها في تاريخها. بعبارة أخرى فقد كنا عشيبة التسعينيات على شفا أزمة خطيرة لكننا لم ندرك ذلك على الإطلاق والفضل يعود إلى هذا المليون.

في الفصل الأخير يدق كادمي ناقوس الخطر وينبه إلى أن دولة إسرائيل تمر بأخطر أزمة نظامية في تاريخها. ومثلما يشير فإن الشعب اليهودي فقد دولته ثلاث مرات على مر التاريخ: سقط مرتين ودُمّرت مملكة يهوذا في المرة الثالثة. يقول الكاتب: «ها هي دولة إسرائيل أمام الجولة الرابعة، وفي رأيي إنها الجولة الأخيرة. لن يكون ثمة المزيد من الجولات. لقد تمكن موظفونا عبر الاستفادة من التطورات الدولية والإقليمية من إعادة إنشاء دولتهم وذلك على الرغم من صعوبة الفرص وخلافاً للمنطق التاريخي. لكن اتضح أن ضمان وجود الدولة لا يكفي لحمايتها (...). إن الأحداث المثبتة في هذا الكتاب هي انعكاس جزئي لهذه الأزمة. وإذا لم تُقدم دولة إسرائيل على إصلاحات عامة وجوهرية وجذرية لهماكل الدولة وأنظمتها في غضون السنوات المقبلة فمن غير المرجح أن تستمر الدولة حتى منتصف القرن الحادي والعشرين، أي بحلول قرن على إنشائها، ولن يكون وصول أكثر من مليون يهودي آخر إلى إسرائيل سوى تأجيل النهاية». (ص: ٤٦٣)

الكتاب: حروب غير موثوق بها.

المؤلف: ياكوف كادمي.

الناشر: إيكسيمو / ٢٠١٨ موسكو باللغة الروسية.

عدد الصفحات: ٤٨٠ صفحة

* أكاديمية ومستعربة روسية



وثقافة. فهل ننتمي إلى قبائل وحشية بربرية تقدر عادات الثأر الدموية؟ ربما نعتقد أننا نقوم بالثأر ولكن بطريقة ثقافية! ولكن أليس الثأر في جوهره هو الثأر مهما تبدلت لبوسه؟ إن الأشخاص الذين يتقيدون بعادة الثأر يتم تقديمهم إلى العدالة، ولكن عندما تقدم الدولة على ممارسة نفس هذه العادة فإن هذه سياسة شرعية وعادلة. لقد تم تقليص وتجفيف هذه السياسة وحصرها على الغرائز الحيوانية البدائية التي لا مكان لها في المجتمعات المتحضرة، ولكن يبدو أن دولة إسرائيل تفضل الاحتفاظ بممارسة العداة الدموي القبلي كوسيلة لمنع الإرهاب، ولكن، وبالرغم من كل الثأر الذي حدث إلا أنهم لم يحققوا شيئاً (...). إن هذه العادة المتمثلة في رد الفعل الغريزي تكمن بعمق في طبيعة المجتمع الإسرائيلي ذاته وفي مكوناته العسكرية والسياسية وهي موجودة حتى اليوم». (ص: ٤٥٥-٤٥٦).

يقوم المؤلف، وبعد أن شهد الآلاف من حالات الإذلال والإيذاء والاستغلال والعنصرية والتمييز ضد اليهود القادمين إلى إسرائيل من الاتحاد السوفيتي في طرح أسئلة حساسة تضرب في عمق التشكيلة المجتمعية الإسرائيلية، ومن بين ما ذكره من أسئلة: (١) ما الذي يحدد العلاقات الأكثر تعقيداً بين أولئك الذين جاءوا إلى إسرائيل من الاتحاد السوفيتي السابق وبين أولئك الإسرائيليين الذين التقوا بهم في البلد الجديد؟ (٢) كيف ينظر القادمون الجدد إلى إسرائيل والإسرائيليين، وكيف كان رد فعل الوافدين الجدد على الاستقبال الذي لم يتوقعوه؟ (٣) كيف ستبدو دولة

عن تفاصيل هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل أمر غير مقبول، معزية رأيها هذا بخشية الاتحاد السوفيتي من ضغوط الدول العربية لو أن التفاصيل انتشرت، الأمر الذي سيعرض العلاقات السوفيتية العربية للخطر. ولكن، وكما يشير كادمي، فإن السلطات السوفيتية لم تطالب قط بالاحتفاظ بالتقارير المتعلقة برحيل اليهود من الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل في طي الكتمان. يقول الكاتب مضداً هذا الرأي: «على الرغم من كل الادعاءات التي ابتدعها ممثلو الدول العربية وعبروا عنها في مختلف المناسبات، فإن رحيل اليهود من الاتحاد السوفيتي، وهم يحسبون بعدة مئات في السنة، يقابلهم مليون شخص جاءوا من الدول العربية نفسها» (ص: ٦٠).

ويحلل كادمي طريقة العمل في الشعبة التي عمل فيها لسنوات عديدة، كما يقارن بين النماذج المختلفة لهجرة اليهود إلى إسرائيل قادمين من مختلف بلاد العالم، ويخلص إلى أن النهج السوفيتي كان ذا طابع أيديولوجي واضح. فعلى سبيل المثال حاول موظفو «ناتيف» معرفة ما إذا كان من الجائز اتخاذ النموذج الروماني لضمان تحرير اليهود وخرجهم من القبضة الحديدية السوفيتية. ففي كلا البلدين، السوفيت ورومانيا، كان النظام الشيوعي على الطراز السوفيتي هو السائد، إلا أن رحيل اليهود من رومانيا تم مقابل رسوم حددتها السلطات الرومانية كتعريفية لكل يهودي وذلك وفقاً لشهادته العلمية ووضع الأسري وعمره وما إلى ذلك. وكما يذكر المؤلف فإن ردة فعل المسؤولين السوفيت كانت: «قاسية وصعبة للغاية، وبنبرة ملؤها الازدراء والاحتقار أجابوا على طلب إسرائيل: نحن لسنا رومانيين ولا نتاجر بالبشر» (ص: ٦١).

ويتوقف المؤلف عند المساهمة التي قدمها شخصياً لتحسين عمل «ناتيف»، فمن الإجراءات التي أقرها توفير الحماية لليهود في بلاد المصدر من بطش السلطات، بل ومرافقتهم في حالة وجود احتمال لوقوع تصادم مع السلطات المحلية، فضلاً عن أنه ساهم في مشروع منح الجنسية لليهود الذين منعهم الاتحاد السوفيتي من السفر إلى إسرائيل.

خلافاً عن ذلك ينتقد كادمي سياسات إسرائيل فيما يتعلق بأمن مواطنيها ويعبر عن فكرته هذه بطرحه السؤال التالي والإجابة عليه: «ما هو هذا الشيء الذي نسميه الثأر؟ إن دولة إسرائيل تتميز حقاً بموهبة الكلام الفارغ. إن ما نعرفه عن القصص شيء آخر يختلف عن الثأر. إن القصص يبدو أكثر جمالية



المعجزة الاقتصادية الروسية: لماذا لم تحدث؟ سيرجي أليكسانكو

محمد نصر الجبالي *

يعرف مؤلف "المعجزة الاقتصادية الروسية. لماذا لم تحدث؟" سيرجي أليكسانكو بكونه أول من طرح فكرة المنظومة الاقتصادية لروسيا الجديدة ولذا يهتم الباحثون برأيه كخبير ويقومون بتحليل أفكاره حول مختلف جوانب الوضع الاقتصادي في روسيا الحديثة. ويعرض المؤلف في هذا الكتاب صورة تفصيلية للاقتصاد الروسي ويتناول كافة التحولات والأحداث والتغيرات التي طرأت على الحياة الاقتصادية والسياسية. ويعد الكتاب الذي بين أيدينا بمثابة أطلس تشريحي للدولة الروسية يحاول المؤلف أن يمنحنا من خلاله تشخيصا تفصيليا وإن كان لا يهدئ من روع القارئ حيال مستقبل الاقتصاد الروسي. كما يطرح الدواء لعلاج المرض ويؤكد أن الفرصة ما زالت قائمة للإبقاء على الأعضاء السليمة في الجسم الاقتصادي الروسي دون ضرر.

تحولات سياسية خلال الفترة المذكورة في حال حدوث تقلبات مؤثرة.

ثم يورد المؤلف بعض المؤشرات الاقتصادية الروسية خلال الأعوام 2015-2017 مدعومة برسومات بيانية تظهر مدى رسوخ أو تذبذب مؤشرات الاقتصاد الروسي وارتباط ذلك بأسعار النفط العالمية وعن نمو أو انخفاض حجم تجاره الجملة والتجزئة ومؤشرات قوة الروبل الروسي وكذا مؤشر أسعار النفط خلال الفترة بين عامي 2011-2018.

ويشير الكاتب إلى مشكلة التضخم ويقوم بتناول جوانبها بالتفصيل ويخلص إلى أن وتيرة نمو معدلات التضخم قد تباطأت كثيرا ولكنها في ارتفاع مستمر ويرجع ذلك إلى تأثير العقوبات الدولية المفروضة على روسيا.

ثم يعرض المؤلف للتهديدات الواقعية للأمن الاقتصادي الروسي، ويذكر أن الرئيس بوتين قد صاغ استراتيجية الأمن الاقتصادي الروسي حتى 2030. وتتضمن هذه الوثيقة أكثر من 25 بنداً إلا أنها لا توضح بجلاء ودقة كيفية التغلب على هذه التهديدات. ويقترح المؤلف من هذا المنطلق وللتغلب على كامل هذه التحديات البدء بتحقيق هدف رفع مستوى معيشة السكان. وهنا يذكر الكاتب بمشكلة حقيقية تتمثل في تخلف الاقتصاد الروسي في مجال التكنولوجيا ويقول إنه لا الاتحاد السوفيتي السابق ولا روسيا استطاعا يوماً ما تحقيق الريادة في الذكاء الصناعي مضافاً أن المستثمرين الأجانب لا يتعجلون في ضخ أموالهم في مجال اقتسام التقنيات الخاصة بهم مع روسيا ويرجعون السبب في ذلك إلى المشكلة الروسية الأوكرانية وإلى فرض عقوبات اقتصادية دولية على

ووفقاً لهذه الرؤية، فإنه وحتى عام 2025 يمكن للمشكلات الاقتصادية في روسيا أن تضعف الدولة إلا أنها لن تؤدي بأي حال إلى انهيارها لعدم من الأسباب أهمها أن كل اقتصاد هو بمثابة جسم ثابت راسخ وليس من السهل خلخلته. والاقتصاد الروسي ينمو بفعل عوامل مبدئية تتمثل في غلبة نسبة تصدير المواد الخام في حجم الاقتصاد ككل 85% أما السبب الثاني فيتمثل في تبعية الاقتصاد الروسي لأسعار النفط العالمية وأنه ورغم ذلك فلا يبدو في الأفق القريب حدوث انخفاض شديد لأسعار النفط العالمية عن مستواها الحالي. فضلا عن ذلك هناك توقعات مؤكدة بأن حجم الإنتاج النفطي الروسي في نمو مستمر حتى أن ربع النفط الروسي سيتم إنتاجه من حقول جديدة في عام 2025. كما أنه ورغم كون وضع الأقاليم الروسية في تدهور مستمر بسبب أن دخولها ومواردها تعتمد في أغلبها على الضرائب المحلية سواء على الأرباح أو الدخل إلا أنها رغم ذلك لا يمكن أن تؤثر بالسلب على الوضع العام للاقتصاد الروسي أو التأثير على حجم الضرائب العامة المحصلة. كما أنه من المستبعد أن يتفاعل المواطنون الروس بغضب أو استياء مع تنامي معدلات التضخم حيث لم يشهد لهم بذلك خلال عشرين عاماً مضت. فضلا عن ذلك فإن المشكلة الديمغرافية لن تمثل أي خطر اقتصادي أو تؤثر على الحكومة. ربما ستبطل من معدلات نمو قطاعات التكنولوجيا المتقدمة بعض الشيء ولكن لن يتعدى الأمر حدود ذلك.

ثم يعرض المؤلف لسيناريوهات أخرى لمستقبل الاقتصاد الروسي منها اختياره الانعزال عن النظام الاقتصادي العالمي غير أنه وحسب رأيه يمكن للتحولات الاقتصادية السلبية أن تؤدي إلى حدوث

ويرى المؤلف أن روسيا في عهد الرئيس بوتين تبدو ككائن غامض صعب الفهم وأنها تبدو فقط في وسائل الإعلام بلداً منفتحا واضحا في سياساته. ويرى الكاتب أنه في روسيا الاقتصاد ليس اقتصادا بالمعنى المفهوم ولا القضاء قضاء، فالحكومة الروسية لا تحكم في واقع الأمر ووسائل الإعلام لا تقوم بدورها الأساسي في تغذية العقول بقدر ما تقوم بالمبالغة في تقديم صورة كاذبة وفيها الكثير من تجميل الوضع.

ويقترح المؤلف في البداية التفكير بتمعن في المشكلة ومن ثم معرفة أن لكل مرض دواء ثم المشاركة مع جميع الأطراف المعنية في بناء مستقبل روسيا بحكمة، ويؤكد أن هناك جيلا يكبر الآن يعيش في بيئة قوامها الأساسي الحرية والمعرفة ولديه القدرة على اكتساب أي معرفة أو معلومة سواء من العالم الواقعي أو الافتراضي؛ ومن ثم تحليلها وتصديرها ونشرها مرة أخرى في الحال. هذا هو الجيل الجديد، أما القديم فوضعه ليس ميؤوسا منه تماما بل هو قادر أيضا على اكتساب المعرفة اللازمة ونقلها للآخرين. ويؤكد المؤلف على حقيقة عدم إمكانية منع المعرفة من التنقل وأن سور الصين العظيم ليس بمقدوره أن يعزل الصين عن محيطها ولا أي سور آخر في العالم. كما أن روسيا ليس بمقدورها أن تنأى بنفسها عما يحدث في العالم.

وفي معرض حديثه عن رؤيته للوضع الاقتصادي الروسي في الفترة بين عامي 2014-2018 يرى المؤلف أن روسيا في سياساتها الاقتصادية قد حسمت أمرها باستمرار بوتين على رأس الحكومة حتى عام 2024 ولذا فإن الاقتصاد الروسي سيتطور بأسلوب الدفع الذاتي دون أية تغيرات راديكالية. وفي الوقت نفسه ستظهر عوامل أخرى جديدة غير مؤثرة على تطور الاقتصاد ككل.



ويطرح المؤلف السؤال الذي يقلق الجميع وهو الموعد المتوقع لانتهاء الاقتصاد الروسي ويخلص إلى أنه لا يمكن وضع سيناريو واضح لحدوث ذلك، ولا يمكن توقع ما سيحدث خلال العامين أو الأعوام الثلاثة القادمة، ويرجع ذلك لكون روسيا قد فوتت فرصة الاستفادة من ثورة النفط الصخري وفي طريقها لتفويت فرصة الاستفادة من القفزات التي تحققت في مجال التكنولوجيا البيولوجية وصناعة السيارات.

ويرى الكاتب أن الاقتصاد الروسي يتمتع حاليا بنمو بطيء وثابت في الوقت نفسه ويرجع ذلك للاستقرار السياسي ويخلص إلى ارتفاع مستوى معيشة الروس اليوم مقارنة بعشر سنوات مضت ويرى أن التهديد الوحيد حاليا يتمثل في العقوبات المفروضة على روسيا وخاصة ما يتعلق بوقف تصدير التكنولوجيا الجديدة إلى روسيا إلا أنه يرى في الوقت نفسه أن ذلك التأثير سيكون بطيئا وسيؤدي فقط إلى تخلف روسيا تكنولوجيا عن الدول المتقدمة لبضع خطوات.

وأخيرا يرى الكاتب أن أزمة القرم التي اندلعت منذ خمس سنوات سيكون لها تأثير بالإيجاب والسلب على الاقتصاد الروسي. ويعود بالتاريخ إلى أحداث ٢٠١٤ عندما قررت روسيا ضم شبه الجزيرة إلى روسيا. ويرى الكاتب أن الثمار الإيجابية لهذا القرار أقل من السلبية. ويتمثل الأثر الإيجابي بالتأكيد في توسع مساحة روسيا وزيادة عدد سكانها في ظل أزمته الديمغرافية غير أن الموازنة الروسية ستتحمل تكاليف ضخمة إضافية بلغت في العام الماضي ٩٠٠ مليار روبل روسي. وقد أدى قرار ضم القرم إلى حدوث ركود اقتصادي نسبي حيث بلغ معدل النمو السنوي في السنوات الخمس الأخيرة إلى ٢,٥ % فقط في حين بلغ المتوسط العالمي ١,٩ % واحتلت روسيا المرتبة ١٧٣ عالميا. كما أنه انخفضت دخول المواطنين الروس بمعدل ١١ % وحتى أكثر المتفائلين لا يستطيع التنبؤ بالفترة الزمنية التي تحتاجها روسيا للعودة إلى معدلات ما قبل ضم القرم.

الكتاب: المعجزة الاقتصادية الروسية: لماذا لم تحدث؟

المؤلف: سيرجي اليكسانشكو

الناشر: دار نشر "آست"، موسكو ٢٠١٩

اللغة: الروسية

*** أستاذ ورئيس قسم اللغة الروسية
بجامعة عين شمس**



كما ينصح المؤلف بالتوقف عن افتتاح البنوك الاستثمارية. والعمل على توفير مناخ استثماري جاذب حيث يرى أن روسيا تعاني من مشكلة في هذا المحور، ويرتبط ذلك بعاملين مهمين أولهما تفوق الدولة في السيطرة على الاقتصاد وتدخل الكرملين في جميع الصفقات الكبرى التي توقع بين الشركات الروسية ونظيراتها الأجنبية.

أما العامل الثاني فيتمثل في العزلة المتزايدة للاقتصاد الروسي عن السوق العالمي وهو الأمر الذي يعد نتيجة للسياسة الخارجية الروسية.

وينتقد الكاتب عدم وجود أهداف واضحة لدى روسيا في عمليات الإقراض. كما يرى أن معدلات منح القروض في العالم كله في انخفاض مستمر نظرا لصعوبة استرداد الأموال وغياب أدوات الضغط لدى الدول الدائنة. ويرى أن ذلك يمكن أن يتم ولكن من خلال جمعيات صداقة أو بنك يمنح القروض على غرار صندوق النقد الدولي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والبنك الآسيوي للاستثمارات في البنية الأساسية بالنسبة لصين. ويقترح أن تمنح روسيا قروضها للأخريين من خلال بنك الاتحاد الأوراسي. ويصف الكاتب السياسة الروسية في الإقراض بالشفافة وأنها قلصت كثيرا من حجم عمليات الإقراض الخارجية.

ويرى الكاتب أن منح القروض للدول الأخرى يمكن أن يكون أداة مقبولة تستفيد منها السياسة الخارجية الروسية وتدعم الاقتصاد الروسي. ولكن ولكي يتم تقييم فعالية هذه القروض يجب أن تكون السياسة الخارجية وظروف منح هذه القروض مفهومة وشفافة.

روسيا وهو ما أدى إلى تعاضم المخاطر السياسية وتباطؤ الاستثمارات الغربية في روسيا.

ثم ينتقل الكاتب إلى الحلول التي اقترحتها الرئيس بوتين في برنامج الاقتصاد ويشير إلى المبادئ التي يتمسك بها الرئيس الروسي في كل سياساته الاقتصادية والتي تتلخص في التمسك باقتصاد السوق والأسعار الحرة وعدم الوثوق في حوافز السوق والاعتماد على برامج واستراتيجيات الخطط الحكومية. كما لا يفضل بوتين اتخاذ إجراءات استباقية عندما يبدو ذلك ضروريا بفعل التهديدات المستقبلية في الاقتصاد. كما يشجع بوتين على الاعتماد على الشركات الحكومية والوثوق بها وأحيانا يرفض إجراء إصلاحات في الشركات الحكومية مثلما فعل مع غاز بروم ورفض تحويلها إلى شركة ربحية طبيعية. كما لا يثق الرئيس بوتين حسب رأي الكاتب بالقطاع الخاص، ويؤمن بأنه من الممكن عزل الاقتصاد الروسي من جانب واحد وأن الدولة يمكنها وقف التعاون مع العالم المحيط عندما ترى ذلك ضروريا. ومن المبادئ الثابتة والتي لا يتنازل عنها بوتين أيضا إيمانه بقدرة المجمع الصناعي العسكري الذي يعتبره مصدرا للتقدم التكنولوجي الروسي وقاطرة للتنمية الاقتصادية فيها كما يدعو دائما إلى الهيكلية الصارمة للاقتصاد بما يكبح كبح التضخم ويقلص الدين الحكومي.

ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن العقوبات المفروضة على روسيا وما إذا كان ممن الممكن التعايش معها أم لا. يؤكد أنه يمكن التعامل معها وعقد اتفاقات مختلفة مع كونسورتيوم دوليه تضم شركات كبرى عالمية وأورد مثلا على ذلك توقيع اتفاقه منح الدولة الأولى بالرعاية في التبادل التجاري مع الاتحاد الأوروبي.

ويتحدث المؤلف بشكل علمي وأكاديمي عن النظام البنكي ونظام التقاعد في روسيا حيث يرى أن الرجوع للسياسة القديمة في إدارة البنوك الروسية ربما يكون الحل المناسب ويتحدث عن الأخطاء التي ترتكب حاليا والمتمثلة في هدر الأموال والسيطرة الكبيرة من قبل الحكومة على البنوك وتأثير الأزمات المالية التي عاشتها روسيا على البنوك.

وفي معرض حديثه عن نظام التقاعد تطرق المؤلف إلى الطريقة الأمثل لإدارة الأصول الحكومية ويرى أنه من الضروري توقف صندوق التقاعد الروسي عن تحصيل الأموال من الموظفين بل يجب عليه أن يتحول إلى مدير كفاء للأصول بهدف تنمية موارده يمكنه أيضا عقد اتفاقيات مع صناديق الاستثمار المختلفة أو البنوك ويمنحها جزءا من أصوله لإدارتها.



دانتي والإسلام: سماوات الأنوار ماسيمو كامبانيني

عزالدين عناية *

تلوح علاقة متينة بين العمل الإبداعي للشاعر الإيطالي دانتي أليغييري (١٢٦٥-١٣٢١م) في "الكوميديا الإلهية" والتراث الإسلامي لا تخفى عن عين الدارس الموضوعي، ولا سيما في التشرب لفلسفة التصور الإسلامي من حيث بناء الكوسمولوجيا الدانتية. فلا شك أنّ ثمة هاجساً في الفلسفة الغربية بمحاولة "التناسي" للبعد الإسلامي من الجذور التكوينية للفكر الغربي الحديث، كما يسمّيه المفكر الإيطالي المعاصر ماسيمو كامبانيني. وهو نكراناً لطالما مَورس وحاولت العديد من الأطراف الدينية والسياسية ترسيخه، منذ انطلاق الحملات الصليبية وتأثيرها القوي في انبناء جدار نفسي بين الحضارتين. عمل العديد من الكتاب على تعميق هوة الفصل بين كل ما يمتّ للحضارة العربية الإسلامية بما له صلة بالحضارة الغربية، ويبرز التمايز جلياً بين الشرق والغرب مع ذلك الموقف الجائر لفرانشيسكو بيتراكا في قولته الشهيرة: "أمقت ذلك النسب إلى العرب" في "الرسالة الثانية إلى دوندي" التي ظهرت خلال القرن السادس عشر في كتاب الرسائل "سينيلي"، وهو محاولة للتملص من الروابط التاريخية بين الحضارتين، أكان ذلك مع التجربة الأندلسية أو مع التجربة الصقلية.

يد علماء وفلاسفة مسلمين. ما كان المسلمون في ذلك العهد يضيّقون ذرعا باتباع الديانات الأخرى إن ارتادوا حلقات العلم، بل محلّ ترحيب. فقد كان العرب يفخرون بالتسامح الذي يغمرون به أهل الكتاب وغيرهم. كان الكاتب بيار ريشيه قد ألف كتاباً مهماً حول البابا المذكور بعنوان «جربرت دي أوريللاك.. بابا العام الألف» نُشر في دار فايار في باريس (١٩٨٧)، توقّف فيه عند رحلة البابا لتلقّي المعارف في الأندلس بالتفصيل.

في تقييمه لحركة الترجمة الغربية إبان الفترة الوسيطة يقول كامبانيني: كانت معرفة الإسلام كدين وكنافة، وبعيدا عن الأحكام المسبقة، تفتقر إلى العمق، كما كانت محصورة بنخبة قليلة. يذكر حادثة معبرة في الشأن حول مدى الإلمام بالعربية في الأوساط العلمية الغربية قائلا: إلى حدود منتصف القرن الثاني عشر الميلادي كان ملك فرنسا لويس التاسع، الذي قاد الحملة الصليبية السابعة وهلك في تونس، ثم رفعته الكنيسة لاحقا إلى مقام القديس، وكذلك البابا كليمنت الرابع، يجدان صعوبة في العثور على مترجم قدير بوسعه القراءة والترجمة من العربية والفارسية. فما كانت الدراسة للموروث العربي بشكل عام بدافع الشغف المعرفي دائما. حين ترجم روبرت دي كيتون القرآن بإيعاز من الراهب بطرس المبجل (توفي سنة ١١٥٦م)، ما كان الهدف معرفة مضامين القرآن الكريم بل دحض «هرطقات السراسنة» على حدّ زعمه. فقد كان الموقف من دين الإسلام بالغ التشدد والتعصب في الأوساط الواقعة تحت سلطان الكنيسة، مع ذلك لم تخلّ الساحة من عناصر جريئة حاولت تحطّي تلك الأحكام المغالية والإقرار بعبقرية حضارة الإسلام، مع احتفاظهم بموقف عدائي تجاه الدين، لا سيما في

الفضل باسم المسيح: «لا مندوحة في أن جند المسيح حين يخوضون حرور الربّ يخوضونها مرتاحي البال، لا يخشون في ذلك اقتتراف الخطيئة حين يقتلون أعداءهم أو يزهقون أرواحهم. فليس القتل في سبيل المسيح جرما أو جنحة بل مدعاة للمجد. وبالفعل في كلتا الحالتين إما يفوز المرء برضى المسيح الذي يقبل طوعاً بموت العدو، أو بالمسيح الذي بذل حياته عزاء للمقاتل. أشدّد على أن مقاتل المسيح يقتل مرتاح البال وإن قضى نحبه فبراحة أكبر» ليست تلك الفتوى الدينية الوحيدة، فقد تعددت المواقف الشبيهة على مدى قرون حتى خلقت نوعا من المشاحنة المزمنة والمتجذرة.

بعد توضيحه لتلك الأجواء التي تحكمت بالمخيل الغربي تجاه حضارة الإسلام، يحاول ماسيمو كامبانيني من جانب آخر إبراز نوعية التواصل الفكري الحاصل بين الحضارتين رغم التوتر الديني المخيم على الجانبين. تحت عنوان «الترجمات والمترجمون.. انتقال المعارف» يسلط الضوء على حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وهي حلقة محورية في توارث المعرفة الكونية. فقد كان العرب في الفترة الوسيطة القائمين على حفظ الذاكرة الإنسانية، سواء عبّر ما أنتجوه من معارف أو عبّر ما نقلوه من إنتاجات الإغريق. لقد كانت العصور الوسطى، المغرقة في الانغلاق في الغرب، هي عصور التطور والانفتاح المعرفيين بالنسبة إلى العرب، ما جعل الحواضر العلمية الإسلامية قبلة لطلاب العلم من شتى الأقوام والأديان. جربرت دي أوريللاك، الذي غدا بابا الكنيسة الكاثوليكية خلال الفترة (٩٩٩-١٠٠٣م) واتخذ اسم سلفستر الثاني، تردّد قبل اعتلاء سدة بطرس على مجالس العلماء في الأندلس، وتلقّى المعارف على

في ذلك المناخ المحكوم بالتمايز بين الحضارتين ظهر دانتي أليغييري، مع أنه تربى في وسط ثقافي يعبق بالحضور الفلسفي والعلمي للحضارة الإسلامية، والذي لم يقرب به بشكل صريح دائما. فهو كما نعرف قد أصدر حكما قاسيا في مؤلف «الكوميديا الإلهية» ضد الإسلام. فليس خفياً أن تعلق في مدينة الآثام الموصوفة في نصّه ما يطلق عليه «المسكيتي» بلغة ذلك العصر، أي «الجوامع» (الجحيم: الثامن، ٧٠-٧٢). يتقاسم دانتي مع مجاليله الرأي الشائع أنّ الإسلام لا يزيد عن كونه هرطقة مسيحية، ولذلك اتخذ موقفا جاحدا من المصطفى (عليه الصلاة والسلام) ومن الإمام علي (كرم الله وجهه) على وجه التحديد، وهي الفقرات التي تحاشاها المترجم العربي وتغافل عن إيرادها، مع أنّها نصوص تكشف عن موقف الرجل الصريح من حضارة بأسرها والواردة في (الجحيم/ الثامن والعشرون، ٣٠-٣٣).

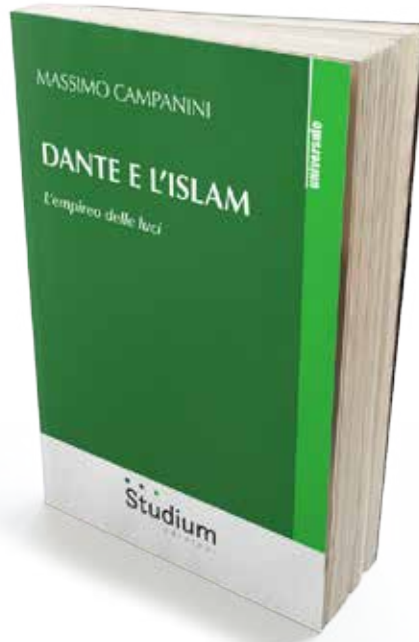
تبدو المسألة التي حكمت الموقف الغربي من دين الإسلام كأخر ومغاير حاسمة، فهو ممّا ينبغي مواجهته إلى حدّ السعي لاجتثائه، وهو ما ساد على مدى القرون الوسطى ومطلع العصر الحديث. تجلّى ذلك بقوة في الحملات الصليبية المتلاحقة، وفي محاولات الغرب المسيحي نسج علاقات مع القوى الآسيوية، مثل المغول لحشد القوى ضدّ العدو المشترك المفترض ألا وهو حضارة الإسلام، ذلك ما يوضّحه بشكل جليّ وموثق الكاتب والمفكر ماسيمو كامبانيني منذ مطلع كتابه (ص: ٨-٩). تعمق العداء للحضارة الإسلامية أثناء الحملات الصليبية، وبدا جلياً في التبريرات الدينية للقتل التي حاول القديس برنارد من كليرفو (Bernardo di Clairvaux) الداعي إلى الحملة الصليبية الثانية ترويجها، حين يكون ذلك



السؤال الذي يُلخّص مضامين كتاب كامبانيني وهو ما معنى إسقاط المصدر التاريخي الذي استقى منه دانتى نص الكوميديا، أو لنقل البناء الكوسمولوجي للكوميديا بشكل أدق؟ ثمة نزوع في القراءة الإيطالية لإضفاء طابع الضاردة على نصّ دانتى، سيما وقد غدا الرجل العمدة والأساس الذي انبنت عليه الهوية اللغوية الإيطالية. تفكيك الأسطورة الدانتية هو مسّ وانتهاك لتلك القداسة بحسب الموقف المحافظ. وقلّة من الكتاب الإيطاليين ممّن تجرأوا، مثل ماسيمو كامبانيني، على إعادة اكتشاف دانتى، أي من حيث الإحاطة بمصادره وروافده في بناء نصّه. نشير أنّ مقارنة كامبانيني لدانتى لا تعني مسّاً من قيمة الرجل أو خطأ من إبداعه، بل بخلاف ذلك ثمة إجلال وتقدير، وإنّما الشيء الذي أراد أن يصل إليه الرجل وهو ما يتلخّص في التساؤل التالي: ماذا سيبقى من دانتى بعد نزع الأسطورة عنه؟ وذلك بعد كشف الأبعاد المستوحاة من فلسفة الفارابي وآراء ابن سينا وابن رشد بالخصوص. ففي نكران الأبعاد العميقة والجوهرية لنصّ دانتى، وهو ما يعني «التغافل» عن المخزون الفلسفي القوي الحاضر في نصّه، هو نزوع لفصل الارتباط الوثيق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية سيما إبّان فترة الانتقال من القرون الوسطى إلى العصور الحديثة. هناك نقطة مهمّة يحوّل بها المؤلف كتابه، وهي نابعة من إلمام كامبانيني المهمّ بالفلسفة الإسلامية جعلته يتنبّه إلى مصادر دانتى وإلى المسكوت عنه في مؤلفاته. في حديثه عن الروح العقديّة الثالوثية لدى دانتى يقول: ليس الأمر مبنياً على إثباتات «منطقية»، كما حاول أن يفعل ذلك القديس توما الأكويني، بل يقوم على أساس إيمانيّ أو على أساس الحقيقة المملاة من قبل الكنيسة، وهو ما يتجلّى في نصّ الكوميديا في الكانتو الرابع والعشرين بخصوص الجنة. من جانب آخر يقول كامبانيني: جرى الاهتمام بالعلاقة الرابطة بين «الكوميديا الإلهية» والترتات الإسلامي، والواقع أنّ مختلف مؤلفات دانتى، مثل «المملكة» و«المأدبة»، تشرح بهذا التأثير الواضح.

الكتاب: دانتى والإسلام.. سماوات الأنوار.
تأليف: ماسيمو كامبانيني.
الناشر: منشورات ستوديوم (روما) باللغة الإيطالية.
سنة النشر: ٢٠١٩.
عدد الصفحات: ١٧٦ صفحة.

*** أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا**



ومن البين أنّ الشذرات الواردة في «الكوميديا الإلهية» المتعلقة بالدين الإسلامي، والتي تقف موقفاً سلبياً من رجالات الإسلام المبكر دون تبرير مقنع في ذلك، هي نتاج اعتبار الإسلام ديناً منشقاً عن المسيحية، وهو ما يكشف عن عمق الرقابة الإيديولوجية الشائعة في الأوساط المسيحية. بخلاف ذلك نال ابن رشد في «الكوميديا الإلهية» حفاوةً معتبرة ضمنّت له موضعاً في «البرخ» بين عظماء البشرية. انبنى ذلك لدى دانتى على تمييز بين ما هو ديني بحت وما هو علمي وعقلي حسب نظرته. لا نوافق ماسيمو كامبانيني في رأيه أنّ اطلاع دانتى على القرآن الكريم كان محدوداً، أو شبه منعدم، والبناء الكوسمولوجي للكوميديا الإلهية يُفصح عن أنّ دانتى كان على دراية بيّنة بقصة الإسراء والمعراج، أكان كما وردت في النصّ القرآني أو كما رُويت في الأحاديث النبوية وفي المدونات التاريخية. فقد شهدت الفترة رواج ترجمة «كتاب المعراج» للقشيري في الغرب المسيحي بترجمة لاتينية (يُنسب إلى ألفونس العاشر ملك قشتالة أمره بترجمة الكتاب سنة ١٢٦٤م)، وأثر «كتاب المعراج» في كوميديا دانتى مما لا يمكن نكرانه، فهناك شبه بين على مستوى الشكل والصياغة. إذ لا ينبغي أن نغفل عن الضغوطات الكنسية الهائلة عبر الرقابة والتفتيش مع أيّ كاتب عمومي في ذلك العصر. وكان دانتى حذراً عند إيراد ما يمتّ للدين الإسلامي بصلة. في هذا الصدد، يمكن الاطلاع على البحث القيم حول عمق ترصد الكنيسة لكلّ من تحدّثه نفسه بنشر فكر مغاير يخالف وجهة نظرها في الكتاب الصادر عن «مشروع كلمة» بالإمارات العربية بعنوان «الكتب المنوعة» وهو من تأليف المؤرّخ الإيطالي ماريو إنفليزي.

الأوساط السياسية في صقلية فترة روجر الأول، كونت صقلية، إبّان حكم النورمان؛ وكذلك مع الإمبراطور فريدريك الثاني. نذكر أنّ الجغرافي الإدريسي قد شغل سنوات في بلاط روجر الثاني مستشاراً. ولا شكّ أنّ دانتى أليغيري كان على دراية بالحركة الثقافية إبّان حكم الإمبراطور فريدريك الثاني، حتى وإن لم تطأ قدمه أرض صقلية. فقد حاز فريدريك الثاني تقديراً في كتاب «المأدبة» لدانتى، لكنّ ذلك التقدير شهد تراجعاً في «الكوميديا الإلهية»، حيث حُشر فريدريك الثاني في الجحيم مع الهراطقة. وفي تقييمه لشخص دانتى بشأن موقفه من الإسلام كدين يقول كامبانيني: كرجل ينتمي إلى عصره، لا يستطيع دانتى أن يكون له موقف إيجابي من الإسلام كدين، وعلى غرار ذلك من اليهودية. فقد ظهر دانتى في عصر خيم فيه عدااء الكنيسة. وأمّا علاقة دانتى بالفلسفة الإسلامية، وبالثقافة العربية بوجه عام، فهي مدعاة إلى طرح عديد الأسئلة. إذ لا ينفي كامبانيني أنّ دانتى كان على دراية مهمّة بالفلسفة الإسلامية، وبالعلوم الإسلامية الصحيحة، كما يتجلّى ذلك من خلال مؤلفاته الثلاثة الأساسية: «المأدبة» و«الكوميديا الإلهية» و«المملكة». تأتت له تلك الحصيلة المعرفية بفعل التردّد على الأوساط الجامعية في مدينتي بولونيا وفلورنسا، ويرجع كذلك أثناء رحلته إلى باريس. لكنّ التعمّق البارز لدانتى في الفلسفة الإسلامية جاء بالأساس جرّاء الاطلاع على ابن سينا والفارابي وابن رشد وعلى جملة من علماء الفلك المسلمين. يذهب ماسيمو كامبانيني إلى أنّ الإلمام بالقرآن الكريم وبالعلوم الدينية الإسلامية، مثل الفقه والسيرة وعلوم القرآن، كان محدوداً مع دانتى، وهو ما خلف خلطاً في ذهنه ورسخ أحكاماً مسبقة. تلك الحصيلة الهزيلة من ناحية دينية هي نتاج فطور عام ميّز الكتاب المسيحيين في العصر الوسيط، وإن انبهروا بالمعارف العلمية المتأتية من الحضارة الإسلامية سيما في مجالات الطبّ والفلك والحساب والكيمياء، خصوصاً مع ابن سينا والزركلي والخوارزمي وجابر. فهناك حكمٌ رائع في الأوساط الدينية، كما يخلص كامبانيني، أنّ دين الإسلام زائف، وبالتالي غير جدير بالدراسة. ولعلّ المسألة أعمق من ذلك، فقد كانت الرقابة الكنسية على مراكز التدريس في الغرب لا تبيح عرض العلوم الإسلامية أو التعرف عليها. كان كلّ من تحدّثه نفسه بتناول تلك المعارف الدينية عرضةً لتهمة الهراطقة، من هنا كان الاقتصار في الجامعات الأوروبية على تدريس العلوم الإسلامية الصحيحة واستبعاد كلّ ما يمتّ بصلة للإسلام كدين.



لماذا يعتنق الشباب الألماني الإسلام؟ المسلمون الجدد.. لسوزانه كايزر

رضوان ضاوي *

الكتاب والقضية

أصدر الناشر النمساوي برومديا Promedia مؤخراً كتاباً موسوماً بـ«لماذا يعتنق الشباب الألماني الإسلام؟ المسلمون الجدد» لسوزانه كايزر الصحفية والكاتبة من برلين، المتخصصة في الدراسات الرومانية والإسلامية والعربية، وتهتم بالسياسة والأدب العربي-الإسلامي، كما تكتب عن الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وعن الإسلام في ألمانيا للكثير من الصحف مثل دي تسايت والمجلة المتخصصة zenith. وهي أيضاً مستشارة البرلمان في السياسة والاقتصاد والمجتمع للدول العربية والإسلام. ويتألف هذا الكتاب من أربع مقابلات موضوعها الشباب الألماني المتحول دينياً إلى الإسلام، ذلك أن عدد الذين تركوا حياتهم السابقة واعتنقوا الإسلام، لم يجدوا من يهتم كثيراً بهم. وفي الحقيقة لا توجد أرقام موثوقة، ناهيك عن إجراء مسح محترم لعدد المسلمين في ألمانيا بشكل عام. أما الاهتمام الألماني المتزايد بهذه الفئة اليوم فيأتي في مقدمة انشغالات المؤلفة. فكيف توصلت الباحثة إلى فكرة تأليف كتاب عن المتحولين إلى الإسلام؟ وما الذي يجعل من السيرة الذاتية لهؤلاء الشباب مهمة للقارئ والباحث؟ ما الذي يجذب الشباب الألماني عموماً إلى الإسلام؟ توجد أسباب شخصية أم أن التحول عند هذه النماذج في الكتاب لها علاقة بنقد المجتمع، أي بالبحث عن نماذج بديلة للعيش المشترك؟

وجهة نظر المشاركين في المقابلات سهلاً وناجحاً؟ من هذه النماذج نرى بأن المتحولين الألمان إلى الإسلام كان لديهم نقط مشتركة كثيرة أبرزها تغيير حياتهم بشكل جذري، على عكس ما يروج له الإعلام على أن الأمر يتعلق بمسلمين متطرفين، ذلك أن حياة هؤلاء المتحولين الألمان إلى الإسلام عادية أخذت حياتهم الجديدة طبيعة راديكالية مختلفة وأقل إثارة، فقد نجحوا في تطوير ذاتهم من خلال تسلسل مفتوح، متحررين في مسار مختلف مع دين جديد يحقق لهم معنى جديداً وحياة أكثر تحرراً. لم تكن البطالة أمراً سهلاً بالنسبة لإيها، لكنها وجدت في الإسلام البدائل: أن تستيقظ باكراً وتصلي الصلاة الأولى ليومها في الفجر، يجعلها تبني لحياتها بناءً ملموساً. إحدى المشاركات في اللقاءات التي عقدتها المحررة للكتاب كايسر، تقول إن أسباب التحول بالنسبة لها التي جعلتها تختار الدين أن صوتها لم يكن يُسمع في المناقشات العمومية، ما جعله من الأسباب السوسولوجية والنفسية للتحول.

يبدو أن هذه النماذج التي عرضتها الباحثة كايزر تكسر حاجز الكليشيه عن الشباب الألماني المتحول إلى الإسلام، فهؤلاء يعيشون دينهم بحيوية، فهم متحولون بسطاء، ويطرحون أسئلة من قبيل: ما هي القواعد التي أتبعها؟ كيف أنظم يومي؟ ما هو المسار الذي يجب أن أتبعه؟ وهذه أمور يتسوجب على المرء المتحول بناءها بكثير من الإرادة، الحماسة والانضباط. فقد أرادت الباحثة بناء جسر بين القرار الديني والتيار السائد الواسع، لهذا السبب حاولت أن تأخذ وجهة نظر غير دينية وعلمانية. ففي هذا الكتاب حاولت الكاتبة ألا تسيء فهم ماريك المحبة للسلفية، التي تشعر أن ما تفعله هو الصحيح، وأن الكثير من الأمور ليست من الإسلام الصحيح. فانطلقت من أطروحة أساسية مفادها أن التحول يساعد في السيطرة على مسار الحياة، أي أنه يعوض شيئاً ما، وهناك العديد من القصص التي لم تدرج في الكتاب تدعم تلك الفرضية. أرادت الكاتبة أن تثبت أن تطرف المتحولين لم يكن تلقائياً، لهذا السبب ركزت على الأشخاص

أنفسهم، وليس بسبب غضبهم من مجتمع الأغلبية أو لأنهم قد تم إغراؤهم. هناك أسباب وجيهة لقرارهم، يُمكن فهمها في السيرة الذاتية لهم» (٢٨).

دوافع اعتناق الإسلام

في مستوى جديد من التحليل، يظهر عند قراءة الكتاب عامل «الحياة المهنية» باعتباره عاملاً أساسياً في عملية التحول إلى الإسلام عند بعض الفتيات. يلعب البحث عن البدائل دوراً مهماً عند المتحولات في هذا الكتاب، فقد طورت شكل إسلامهن باعتباره مشروع مستقبل ضد الليبرالية الجديدة في المجتمع المعاصر، الذي عانين فيه كثيراً، فقد تركن جميعاً حياة فاشلة وراءهن ووقفن اليوم ضد الاستغلال المهني، وضد المادية، وأيضاً ضد الحب حسب القيم الليبرالية الجديدة. كذا ينتقدن الطابع الاستهلاكي للعلاقات، ومن الأمثلة التي ذكرت للمؤلفة مسألة «تغيير شريك الحياة» للوالدين. وهناك أشخاص حققت معهم الكاتبة قد حققوا لأنفسهم نجاحاً مهنيًا باهراً، فالشابة «إيها» Ele كانت مديرة، و«بين» Ben كان محامياً، وكلاهما في منصب مهني واجتماعي مهم. تغير كل شيء في حياة إيها، فارتدت الحجاب، وتخلصت من وظيفتها وانفصلت عن زوجها، وكانت تربي ابنها وحدها، وعاطلة عن العمل، فوجدت في التحول إلى الإسلام تحقيقاً للنجاح، وهو ذلك المعنى المختلف لحياتها حسب قيم جديدة ومختلفة. لم تعد لديهما الرغبة في جمع المال، وكان كل هدفها هو تحقيق شيء ذي معنى، ولهذا أيضاً اشتغل بين مع الشباب في مجال «الحوار بين الديانات» في ألمانيا. نقرأ في الكتاب: «السيرة الذاتية لإيل وفريد وبين وماريا هي قصص عن الفشل، إن لم يكن بالمعنى الاقتصادي فقط. سواء أكانت مخدرات أو إخفاقات في المدرسة أو عائلات مُحطمة، فقد شعروا جميعاً بالفشل الدائم. كانوا يتجولون بلا هدف لفترة من الوقت، وليس لديهم سيطرة على حياتهم ولا يستطيعون تحمل الضغوط الاجتماعية بطريقة أو بأخرى» (١٢١).

ولكن هل كان هذا الخروج من المنطق النيوليبرالي من

تناولت الباحثة في كتابها قصص حياة هؤلاء الشباب ويبحثهم عن البدائل والنماذج الاجتماعية، وشرحت سبب تفهمها لقرار التحول إلى الإسلام. ويمثل هذا الكتاب دراسة اجتماعية عميقة ومثيرة للاهتمام، تتخلص فيها الباحثة من صفة «كليشيه»، التي تنص على أن جميع المتحولين إلى الإسلام هم شخصيات غير مستقرة باستمرار. ويتعلق الأمر بالألمان الذين لم يكتفوا فقط باعتناق الإسلام، بل توغلو في النهج الروحي، وفي حياة التأمل والسلام، فهم يقيمون كل الصلوات باللغة العربية، حيث يظهر مستواهم في اللغة العربية مع استثناءات قليلة. أما معرفتهم الإسلامية فقد تكونت انطلاقاً من قراءاتهم وحواراتهم مع الآخرين. وقبل سنوات، خصوصاً بعد عام ٢٠١١، ازدهر التأليف في سيرة المسلمين المتشددين في العراق وسوريا وأفغانستان، الذين انضموا إلى الحركات الأصولية، وتحديث الكثير من هذه القصص عن المسلمين المتحولين، أي الألمان الشباب الذين اعتنقوا الإسلام، وكان هناك اهتمام إعلامي كبير بالموضوع، مما أدى إلى نشر تمثيلات سيئة جداً عن المتحولين بالمجمل من وجهة نظر الباحثة. بالنسبة للباحثة كايزر، فإن المتحولين إلى الإسلام الذين تعرفهم هم أشخاص عاديون جداً، وانطباعها كان بأن الألمان يعالجون قضية الإسلام والمسلمين دائماً من وجهة نظر التشدد ومن منطلق وسم الإسلام بالرجعية والإرهاب، مما قاد الباحثة إلى إعطاء الكلمة في كتابها لأصوات جديدة ومختلفة، أي لمتحولين عاديين جداً، لكي يساهموا في تصحيح تلك التمثيلات التي يضح بها الإعلام الألماني-الأوروبي عن المسلمين والمتحولين إلى الإسلام. وقد جاء مفهوم التحول إلى الإسلام في هذا الكتاب بصفته رقيقاً وموجهاً للبحث عن معنى للحياة، وعن معنى للذات والعيش في سلام مع الذات ومع الآخرين. ورغم أهمية الصدفة عند بعض المتحولين، إلا أن أغلبهم يبحث عن المعنى الدقيق وعن العمق. جاء في هذا الكتاب: «يجد الكثيرون المعنى والتعاون في الدين، حياة يومية جيدة التنظيم. إنهم يلجؤون إلى الإسلام لمساعدة



أدينا هي دراسة اجتماعية مليئة بالأسئلة مما يساهم في إغناء وتعميق النقاش حول الظاهرة. ويعد علم الاجتماع عنصراً أساسياً في هذا العمل، والمنظور الاجتماعي-العلمي والنفسى حول الدين إسهاماً ناجحاً في النقاش حول الإسلام، من أجل زيادة فهم التنوع الإسلامي في المجتمع. وبالتالي يُنسب إلى المؤلفة حقيقة أن موضوع هذا الكتاب بالكاد تم التحقيق فيه تجريبياً حتى الآن. ويمكن أن تساعد مؤلفة هذا الكتاب في استكشاف الإسلام الألماني بانفتاحها على هذا الموضوع المعقد. فطوال عقدين من الزمن تقريباً، سيطر الإسلام على العناوين الرئيسية في الإعلام الألماني، لهذا عملت الباحثة سوزان على الإجابة عن أسئلة كثيرة في هذا الكتاب من بينها: من هم هؤلاء الشباب الذين اعتنقوا الإسلام؟ ما الذي يجبرهم على حياة جديدة غير مفهومة؟ ما هو دور الليبرالية الجديدة في هذا التحول؟ وكان غرضها الأساسي هو إظهار أن المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام هم أشخاص عاديون لديهم أسباب عقلانية لتعلل قراراتهم، وتصحيح الصورة المشوشة عن الإسلام في ألمانيا منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ورغم أن الكاتبة ليست مسلمة، إلا أنها بواسطة أربع قصص ذاتية لأشخاص تحولوا إلى الإسلام في ألمانيا، اقتربت كثيراً من هذا الدين، لقد كان تحدياً مثيراً للاهتمام بالنسبة لها، لأنه كان عليها تغيير وجهة نظرها لفهم حقيقة ما الذي يحرك الناس في ألمانيا ليتحولوا إلى الإسلام. ويظل الإسلام جزءاً من ألمانيا، لكن صوت المتحولين الألمان إلى الإسلام يظل خافتاً لا يسمعه أحد، فهؤلاء الشباب الألمان لم يكبروا في الإسلام، لكنهم قرروا بوعي وعقلانية تامة تحولهم إلى هذا الدين، وهجر قيم مجتمعاتهم، وقد قدمت سوزان كاييزر في كتابها نماذج كثيرة مثل هؤلاء الذين سلخوا هذا المسار، وذكرت مجموعة من الدوافع التي تختلف من شخص لآخر وبالتالي تختلف التجارب التي تفسر مثل هذا القرار. وكان الهدف الأساسي من هذا الكتاب هو تصحيح تلك النظرة المشوشة عن هذه الفئة وإنصافها وإسعاد صوتها من طرف صحفية ألمانية خبيرة دهاليز الإعلام والمؤسسات السياسية والثقافية التي تحتضن نقاشات عمومية مثل هذه المواضيع الاجتماعية الهامة. فالألمان ينظرون للمعتنقين للإسلام نظرة قاسية، والإسلام ليس كما يظن الكثيرون، الإسلام هو السلام، كما يقول بعض المتحاورين في هذا الكتاب. ويؤكد معتنقو الإسلام أن هذا الدين جلب لهم الطمأنينة والأمل، لكن لم يكن ذلك سهلاً، مع استثناءات قليلة. إن جلّ هؤلاء واجهوا عدم الرضا والقبول من طرف عائلاتهم، وكان عليهم أن يشرحوا لهم أن الإسلام لا يمت بصلة للسلفيين والجهاديين، المرتبطين بالعنف والتفسير الحرفي لعاني القرآن الكريم.

الكتاب: «لماذا يعتنق الشباب الألماني الإسلام؟ المسلمون الجدد».
المؤلف: سوزان كاييزر.
دار النشر: برومديا، 2018، عدد الصفحات: 200.
لغة الكتاب: اللغة الألمانية.

*** باحث في الدراسات الثقافية المقارنة/
الرباط المغرب**



منذ أكثر من عشر سنوات. كما ستكون بيئة فريد حيدر، الذي أصبح داعية في مختلف المساجد ببرلين، مثلاً على رد الفعل الإيجابي. لقد أرسله والداه إلى المنفى في مصر فاتصل عن غير قصد بالدين لأن المصريين اعتبروه مسلماً. كانت الأسرة التي كان يعيش فيها تدعوه دائماً إلى الصلاة، ولم يرغب في التمرد على الدعوة. لقد كان في مصر لمدة خمس سنوات، وعندما عاد، كان مخلصاً لما تعلمه في مصر، لكنه تخلص أيضاً من مشاكل المخدرات ومنذ ذلك الحين عاش حياة كريمة في عيون والديه كإمام، جعل الدين مهنة، والتي هي أيضاً من وجهة نظر الوالدين قصة نجاح. بالتالي عندما يخبر الشاب الألماني عائلته بتحويله إلى الإسلام هناك من توافق، ويمكن أن يتضايق بعض أعضاء العائلة، وقد يلجأ الشاب إلى ترك عمله وإنشاء مشروع خاص به يناسب وضعه الروحي الجديد. وبخصوص المدرسة فقد قررت ماريك عدم وضع الحجاب حتى لا يبدأ الناس في الحديث عنها، وانتظرت حتى إعلان تحولها للجمهور. لكن كيف يمكن للمعلم أن يتحاور مع طالب متحول إلى الإسلام في ألمانيا؟ قد لا يأتي النقاش بنتيجة، وأهم شيء هو ما إذا أراد الطلاب الحديث عن التحول ومناقشته. على المعلم الانتباه لأمر عديده منها أن يعرف أن المتحول يحتاج موقفاً تقديرياً غير سلبي، ثم معرفة مدى تعامل الشخص مع الدين من جانب ديني أو من جانب معرفي، وهل يحدث فرقاً فيما إذا كان المتحولون يهتمون حقاً بالدين الجديد ويريدون أن يجدوا طريقاً فيه، أو ما إذا كان الأمر يتعلق بالعادة - الملابس والإيماءات الورعة والقواعد- فقط. وإذا كان الطالب المتحول لا يريد المشاركة في الأسئلة المتعلقة بالمحتوى، ينبغي على المعلم المتحاور أن يسعى للحصول على مقابلة مكثفة وربما على نقاط اتصال احترافية. ومن المهم للمعلمين أن يتعاملوا بلباقة مع موضوع الإسلام والتحول، فالتفاهم والانفتاح مهمان في مثل هذه الظروف.

على سبيل الختام

لهذا يمكن النظر إلى حدود هذه الدراسة الاجتماعية الصغيرة للسيدة التي تتضمن الجوانب الثقافية في النقاش، وتعمق مرة أخرى المناقشات الأنثروبولوجية الأساسية. فالدراسة التي بين

الذين واجهوا صعوبات، فالدين لم يكن جزءاً من المشكلة، ولكن جزءاً من الحل، واستخدام المصطلح «متطرف» لوصف المتحاورين في الكتاب جاء بمعنى مختلف عن المفهوم الشائع؛ يكون هؤلاء الناس «متطرفين» بالنسبة للكاتب لأنهم قرروا في مرحلة ما تغيير حياتهم جذرياً. قرار تعتقد الباحثة أنه شجاع للغاية من أجل حياة مختلفة جذرياً عن ذي قبل. وهذا بالضبط ما يجعل حياتهم تحت السيطرة. فماريك نشأت في علاقات أسرية غير مستقرة نسبياً، ولم تكن في مكان إقامة دائمة، مع نفس الأشخاص في العائلة، وفقدت والدتها في سن السابعة عشر عاماً، ومررت بالكثير من العلاقات غير المستقرة في الحياة، وهذا الشكل من الدين الصارم يوفر لها بشكل خاص الأمن والمنزل. من ناحية أخرى، يعيش الشباب الألمان ببساطة في عالم تعددي، حيث يجب عليهم دائماً اتخاذ القرارات، ومواجهة ما لا نهاية له من الاحتمالات، والإسلام هو البوصلة الواضحة التي تمنحهم الاستقرار والقواعد التي ترتب وتهيكل حياتهم وتوجهها.

قضايا أخرى

من أهم أطروحات الكتاب، أن الدين يجذب النساء، لأنها تتيح للرجال الانضباط. وهذه إشارة ملموسة إلى أوضاع حياة المرأة. ومن المغربي للعديد من النساء تمكين أنفسهن من القواعد الدينية، فهن ينجحن في إقناع أزواجهن بالتوقف عن الشرب، والعمل، ورعاية الأطفال، والعيش حياة منظمة. هذه صورة كلاسيكية جدا لكنها وسيلة لتحرير نفسها من التوقعات المتناقضة التي تعرفها المرأة في الحياة المعاصرة. والإسلام يحقق للكثير من الشابات والشباب الألماني تحقيق الذات والتعبير عن الشخصية المستقلة والفرادية المتخلصة من قيود الحياة اليومية التي تفرضها النيوليبرالية الجديدة في ألمانيا وفي الغرب، لهذا يتناول الفصل «أن تكون مسلماً في العالم النيوليبرالي» محاولة المتحولين للهروب من الآليات الليبرالية الجديدة فيصبح الدين بديلاً للنجاح الاقتصادي الضائع، ويرتبط بالتقوى باعتبارها اقتصاداً أخلاقياً. ومن القضايا التي أثارها الباحثة في كتابها مسألة الحجاب، وما تقدمه المؤتمرات الخاصة بالموضوع في الجامعات الألمانية رغم أن الدراسات الإسلامية اليوم تُعرف في ألمانيا بأنها توفر صورة متميزة جداً عن الإسلام، لهذا تكتب الباحثة أن الحجاب هو أيضاً رمز للمقاومة لبعض النساء. وتلبس النساء كذلك ملابس فضفاضة، وكذا الحجاب لتغطية رؤوسهن، وهن يشعرن بأنهن استعدن أنوثتهن مع الإسلام، ويؤكدن أنهن لم يتعرضن لأية مضايقات، أما في المدرسة فهناك من تعرضت لمضايقات بسبب الحجاب، لأن الفكرة السائدة في المجتمع الألماني هي أن الإسلام دين المتعصبين.

في مرحلة لاحقة من الكتاب اهتمت الباحثة بردود فعل الأشخاص الذين يقررون التحول إلى الإسلام. فكيف تتفاعل العائلات مع هذا القرار؟ وهل كانت هناك ردود فعل إيجابية أيضاً؟ كانت الحالة الأكثر تطرفاً بين محاورى الباحثة هي أن الأسرة قطعت الاتصال بالكامل مع الإبن الذي كان يهودياً من قبل، لقد ولد يهودياً، لكنه كبر ملحداً. قالت له والدته ذات مرة: «إن أسوأ شيء يمكنك القيام به بالنسبة لي هو أن تصبح حاخاماً». لم تكن تعلم حينها أن ابنها بين يمكن أن يصبح مسلماً



عودة الشعبويات: أوضاع العالم 2019 لمجموعة باحثين بإشراف: برتران بادي ودومينيك فيدال

* رضوان السيد

لقد غدا مصطلح «شعبوية» شائعاً وحاضراً بقوة في الساحات السياسية، كما في كتابات الصحافيين والباحثين. ومع هذا، توجد صعوبة في تعريفه وتأويله، وبما يفضي في بعض الأحيان إلى مقارنات ملتبسة، حسب التقديم الذي أعده المشرّفان على هذا الكتاب: برتران بادي الأستاذ الجامعي في المعهد العالي للعلوم السياسية في باريس؛ ودومينيك فيدال الصحافي والمؤرخ، والمختص في المسائل الدولية. ويتساءل بادي، في معرض تحليله لمواقف وأوضاع شعبوية «بالقوة»: ما هو الشيء المُشترك بين حركة النارودنيكيين (narodniki) التي كانت تطوف في الأرياف الروسية منذ العام 1874، وبين الأنصار الأميركيين المناصرين لحزب الشعب الأميركي الذي تأسس في العام 1890، وما الذي يجمعهم بأنصار «الجنرال الشجاع بولانجيه» (general Boulanger) الذين زلزلوا بدايات الجمهورية الثالثة الفرنسية؛ ثم ما هو الجامع بعد ذلك الذي يجمعها بتلك الجموع التي تبعت بيربون (Perion) أو هتفت لعبد الناصر، أو تلك التي ترتوي اليوم من غضبات الفيليبيني دوتيري (Duterte) ويغمرها الانشراح وهي تقرأ تغريدات (Tweets) دونالد ترامب (Donald Trump) أو الخطب أو التقريرات المعادية للأجانب، التي تكثر منها عائلة لوبين (Lepen) في فرنسا، أو فيكتور أوربان (Victor Orban) في هنغاريا، أو قادة «حزب البديل من أجل ألمانيا»؟ ويجيب بادي: ثمة هنا أكثر من دينامية مشتركة أو من جامع انتماء إلى مدرسة فكرية؛ إذ إننا نكتشف وجود تماثل في الموقف وتشابه في الوضع، فالشعبوية هي سياسية بأكثر مما هي إيديولوجية؛ فهي تتكوّن حول ممارسات متقاربة متضاربة تولدت في جو من الأوضاع المتشابهة التي تنبع من باثولوجيا النظم السياسية الحديثة، أو على الأقل تلك المتعرضة لتحديات الحداثة.

تكوين الشعبوية

في القسم الأول من الكتاب، وعنوانه (التكوين)، يحلّل عدد من الخبراء والأخصائيين أبعاداً مختلفة للشعبوية، حيث يبدأ غي هيرميه، وهو أستاذ في علم السياسة، بشرح ظروف نشأة الشعبوية كظاهرة، مع ظهور الشعبويين الروس في ما بين العام 1850 أو العام 1880؛ والذي تلاه ظهور البولانجيين الفرنسيين، فحزب الشعب الأميركي في الفترة الممتدة بين العامين 1880 و 1890.

حول النارودنيكيين، يقول هيرميه إنه لم تكن لديهم أيديولوجيا، إذ لم يكن لديهم سوى قاعدة سلوك: العمل مع الشعب ومن أجل الشعب، والافتتاح بأن خلاص الأرض الروسية يكون على يد الفلاحين. فحزب الفلاحين لم يُصَب بنظرهم بحدوى القيم الغربية التي أفسدت المدن الروسية مثلما أفسدت الدولة القيصريّة، من هنا كان تحويلهم للجماعة القروية (l'obchtchina) إلى مثل أعلى أو أمثلة، بحيث إنهم كانوا يعتبرونها ألف بقاء البعث القومي، الذي ينبغي أن يكون على قاعدة من شبكة من التعاونيات.

أما البولانجية التي جاءت في نهاية 1880، فهي افتتحت خطأً ثانياً للشعبوية، جسدها زعيمها الجنرال جورج بولانجيه؛ وكان محلّ ولادتها وحيز ظهورها هو فرنسا التي كانت يومذاك بلداً نامياً، أي متحقق النمو، بمعايير تلك الحقبة، وفيه ديمقراطية برلمانية، لكنها لم تكن راسخة الأسس بعد.

ويشير هيرميه إلى أنّ البولانجية كانت بمثابة شاهد على انتقال الشعبوية من اليسار المثالي إلى اليمين القومي الراديكالي، في ظل دور جوهري للجنرال ذي السيرة العسكرية الرموقة، جورج بولانجيه، والذي امتلك موهبة لجهة الخطابات الوطنية؛ كما لم يكن يعوزه الزهو ولا كان يفتقد إلى الخيلاء. وقد أصبح وزيراً للحرب، في كانون الثاني - يناير من العام 1886.

في العام 1892، وبعد سنة من موت الجنرال بولانجيه، طرأت حبة ثالثة مؤسّسة للشعبوية. ولأنها كانت أميركية شمالية، فإنها انضردت بنمط تنظيميها، أي التنظيم عبر حزب. وفوق ذلك، فإن «حزب الشعب» الأميركي تميّز عن الإطارين السابقين بأن ولادته نجمت عن احتجاج شعبي حقيقي، عبّر عنه صغار مزارعي الغرب (grangers) وعمال المناجم، ودعاة خطر الشراب المسكر، والاشتراكيون المسيحيون، والنساء ذوات الأوضاع المتواضعة، وبعض شرائح العامة.

الفاشية

عن (الفاشية، أسطورة الحقد وسياسته)، يتحدث ژيف شتيرنيل، وهو أستاذ فخري - كرسي ليون بلوم - في جامعة القدس العبرية، فيقول إن تعقّل الفاشية والتفكير فيها هو تأمل لا يتناول كارثة القرن العشرين الأوروبية فحسب، بل يطاول ثقافة زماننا نحن..

ويضيف الكاتب: دفعت حركة «الخمس نجوم» التّأرجح بين البعد التقليدي والبعد التقدمي إلى ذروته: فهي بشراصة ضد الهجرة، وضد النخب القائمة، وتدافع عن حقوق المثليين والمتحولين جنسياً. إن الأولوية التي تُعطى للانفعال على العقلانية، وحتى تقديمه أحياناً على مصالح الأهالي الملموسة، هي ثابتة من الثوابت لدى الشعبويات، وهي تتجسّد انبثاق شخصيات ذات خصائص كاريزماتية تحلم بالالتقاء المباشر مع الشعب. ويرى ليوجيه أن الشعبوية الراهنة (في أوروبا خصوصاً) شاعت أن تكون معادية للاتحاد الأوروبي وللمؤسسات الدولية، مثل منظمة الأمم المتحدة. والحق أن أوروبا تعيش حالياً أخطر أزمة من أزماتها الرمزية في تاريخها. فهي كانت سُرة العالم، لكنها لم تعد اليوم سوى جزء منها. وقد برهن انتصار دونالد ترامب على أن الشعور بفقدان الهوية أصاب الولايات المتحدة نفسها إصابة مباشرة. فالشعار الذي غلب على انتخابات العام 2016 يوحى بأن الولايات المتحدة فقدت تصورها وتفوقها. فلنعد أميركا عظيمة ثانية؛ وهكذا فإن السياسة الانعزالية لترامب تتصف بالانسحاب من النظام الدولي المبني على الدفاع عن حقوق الإنسان وحماية الديمقراطية؛ كما انعكس الحذر الأميركي بالانسحاب من مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، وفي إبداء الريبة إزاء كبريات الديمقراطيات مثل المملكة المتحدة وفرنسا وإيطاليا والاتحاد الأوروبي؛ بل وإزاء حلف شمال الأطلسي (الناتو).

البعد الاقتصادي للشعبوية

في البعد الاقتصادي للشعبوية، يتناول دومينيك بليهن، الباحث في المركز الاقتصادي لشمال باريس، المركز الوطني للبحث العلمي (CNRS)، «المفاعيل الوبيلة للأزمة الاقتصادية وسياسات التقشف». ويقول إن الشعبوية باتت تسائل الباحثين في العلوم الاجتماعية وتستنتقهم. كما أن التحليل الاقتصادي يتيح تقديم عناصر تفسير لصعود الشعبويات، مع أن أسباب هذا الصعود ليست اقتصادية محضة.

وثمة عاملان رئيسان مترابطان في هذا الإطار: العولة الاقتصادية والمالية التي تُعتبر تهديداً لسيادة الشعوب، والأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تتحمل الطبقات المتوسطة أو الشعبية آثارها ومفاعيلها السلبية.

ويضيف الباحث، يعتمد الخطاب الشعبي نمطين من الحجج ضد العولة، فهي من جهة أولى انتهكت سيادة الدول وقلصت قدرتها على ممارسة سياسات اقتصادية واجتماعية تواتي السكان الوطنيين. وهي من جهة ثانية أدت إلى تردّي الأوضاع الحياتية لأغلبية الأهالي، ولا تفيد سوى أقلية ذات امتيازات: هي النخب، غير أن الدول لا تزال، على الرغم مما منيت به من ضعف، الفاعل الرئيس للعولة، والحكومات الوطنية هي التي اتخذت المبادرة إزاء الأزمة العالمية التي نشبت في العام 2008، بوضع سياسات إنقاذ للمصارف التي تواجه صعوبات، ودعم النشاط الاقتصادي. إن انتصار دونالد ترامب الانتخابي في تشرين الثاني (نوفمبر) 2016 في

ويسمّي الكاتب طريق الفاشية، «الطريق الثالث»، أي ذاك الذي ما هو بطريق اليسار، أي ليس بالطريق الماركسية ولا الطريق المتمركسة، ولا هو طريق اليمين، أي طريق المحافظة والبرجوازية؛ وإنما هو ذلك السبيل الذي يريد تغيير العالم والقيام بثورة أخلاقية ومعنوية وروحية، ويريد تفسير الأمة بوسيلة الأساطير تاركاً البنيات الاقتصادية كما هي من دون أن تُمس.

فالمسألة لم تعد مسألة هزيمة البرجوازية، وإنما تعبئتها وتحشيدتها في خدمة الأمة، وتدمير القيم العقلية لليبرالية، وذلك عبر إخضاعها للقيم القومية.

ويستنتج «شتيرنيل» أنّ الفاشية هي ثورة من نوع جديد: ثورة ثقافية، أخلاقية، سياسية، وليست اجتماعية، وإن أساس الفكر الفاشي هو إعطاء الأولوية للشأن السياسي.

وعليه، تشكّل الفاشية أسطورة سياسية، وأسطورية وحدة ونهضة، وتمثّل سعياً بمعنى ما، أو بحثاً عن «سياسة منزوعة التسليس» أو «مجردة من السياسة». فالأمر عند الفاشيين لم يكن مسألة اشمنزاز من المجتمع البرجوازي فحسب، ولا خيبة أمل في العقلانية التي لا تزال تضع نفسها في مدار أو مجرّة عصر الأنوار الفرنسي، وإنما أمر سياسة من دون نزاعات؛ وبالتالي بلا مواجهات ولا تسوية.

الشعبوية المانعة

حول (الشعبوية المانعة في الديمقراطيات الغربية)، يقول رافاييل ليوجيه، الباحث في علم الاجتماع، والأستاذ في معهد العلوم السياسية، إن الشعبوية التي تتنامى على المستوى الإجمالي منذ العام 2008، وتمس المجتمعات الصناعية المتقدمة كما تمس أوروبا وأميركا الشمالية، هي شعبوية تختلف كثيراً عما انتشر لها من مثيلات لها في القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة وفي فرنسا وروسيا، بفضل الانقلابات الكبرى الصناعية والمالية والاجتماعية المرتبطة بالثورة الصناعية.

ما تتميز به هذه الشعبوية عن تلك التي تأكدت بعد الحرب العالمية الثانية، وبخاصة في العالم الثالث، في مصر، وفي أميركا اللاتينية، وفي أفريقيا، وفي الشرق الأوسط خلال نضالات الاعناق والتحرر الاقتصادية والثقافية والسياسية، المعادية للرأسمالية والاستعمار.

حركة «الخمس نجوم»

ويقدم الكاتب أنموذج حركة «الخمس نجوم»، التي تصدّر زعماءها انتخابات العام 2018 العامة في إيطاليا، حيث يخيل أحياناً للمستمع لخطابات هؤلاء أنه يسمع نبرات موسوليني الراجعة في سنة 1930 وهو يدعو إلى العودة إلى الأمجاد الإيطالية، ويبشر بالصراع ضد سلطة المال وضد التفاوتات الاجتماعية.

فالشعبوية هي بادئاً قضية أسلوب: أسلوب زعيم أو زعماء عدة كاريزماتيين تحملهم قريحة فياضة لتنتقي الضيق والقنوط وتلاقي القلق الجماعي.



نظام براغماتي يتكيف بحسب الأوضاع والأحوال، كما يختم الباحث.

الشعبوية في أفريقيا

- أمزات بوكاري - يابارا، المؤرخ، ويعنوان (ظلال «ربيع أفريقي»)، يطرح سؤالاً حول التجليات الرئيسة للشعبوية في أفريقيا ما - دون الصحراء، في ظل «ربيع أفريقي» لبعض شعوب هذه البلاد، والذي تجسد في مجتمعات مدنية ومنظمات غير حكومية، وحركات اجتماعية تزداد توأماً بفضل التكنولوجيا الجديدة، للتنديد بتجاوزات وبممارسات الحوكمة السيئة في تلك الدول.

كما شاع موضوع السيادة الأفريقية وذاع العام 2011، عندما تدخلت فرنسا في النزاع الذي أعقب انتخابات شاطئ العاج. فقد أضيف إلى مفهوم «العاجية» الشعبي الذي يقسم سكاناً متعددي الإثنيات، خطاب وطني معاد لفرنسا كجواب على تدخلات نيكولا ساركوزي (الرئيس الفرنسي حينذاك) لمصلحة الحسن واتارا.

ويلاحظ الباحث أنه حين تهاجم الخطابات الشعبوية الهيمنة الغربية مستعديداً خطاباً أفريقياً التقليدياً أو «اللامتغربية»، فإنها تندد بالسياسات الإمبريالية التي تنتهي عبر المسكونية الجامعة التي تدعيها لنفسها، أو الكونية التي تزعمها لذاتها - إلى التقسيم بالقوة بدلاً من الجمع بالحوار.

وقد اتخذ الخطاب الأفريقي المعادي للإمبريالية لهجة شعبية ومعادية للعولمة، في ظل بروز حركات مواطنية تنتظم في مواجهة شعبية النخب، مستلهمة أيديولوجيات المقاومة: القومية، السيادة، الوحدة الأفريقية.. فيما تقدم الشبكات الاجتماعية لهذه الحركات بعداً شعبياً وعابراً للقوميات، وبما يتيح لمجموعات الشتات أيضاً بأن تدخل الرهانات الأفريقية إلى حلبة الرأي العام الغربي.

الفلبين

- دافيد كامرو، الباحث الضخري في مركز الأبحاث الدولية (CERI)، ويعنوان (دوتيرتي، حالة أمثولة)، يتساءل في بداية مقاله: هل كان انتخاب رودريغو دوتيرتي رئيساً لجمهورية الفلبين في أيار (مايو) 2016، علامة على قطعية في التاريخ الفوضوي لتلك الجمهورية الفتية التي احتفلت في العام ذاته بعيدها السابعين؟

ويقول كامرو: ينبغي تقييم دوتيرتي على ضوء حركتين كبيرتين: قوة الشعب 1 (people power)، التي أسقطت، في شباط (فبراير) 1986، نظام الديكتاتور فرديناند ماركوس؛ ثم قوة الشعب 2 (people power2)، التي أدت في نيسان (أبريل) 2001 إلى الإطاحة بالرئيس جوزيف استرادا وتوقيفه. غير أن هاتين الحركتين لم تكونا، على الرغم من الاسم الذي تحملانه، حركتين شعبيتين ولا شعبيتين. فالواقع أن الشعب كان يقوم بدور الممثل المسرحي في حركتين كانتا بمثابة ائتلاف بين الكنيسة الكاثوليكية ومجموعة الإصلاحيين من ضباط الجيش، ومعهما نادي ماكاتي للأعمال (Makati business club) أي النخبة الليبرالية من أصحاب العمل.

وأخيراً، يعدد الباحث أربع وسائل يستخدمها دوتيرتي - والنخبة الثأرية، التي تؤيده ثأراً وانتقاماً - من أجل تعزيز النظام الحالي وتدعيمه، وللسير بالفلبينيين نحو نظام أكثر سلطوية.

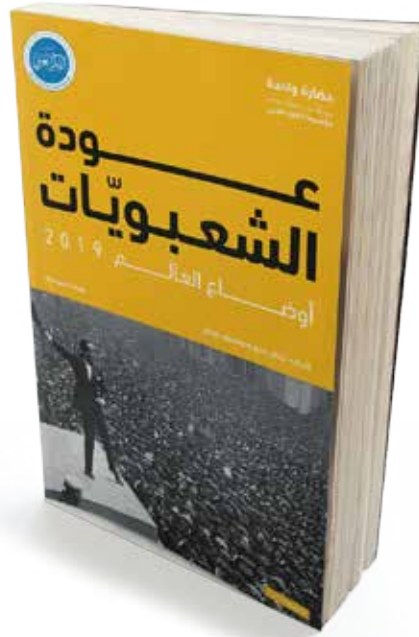
وعناوين هذه الوسائل هي:

«تضجير» كل معارضة محتملة.

«استيعاب المعارضة داخل الدولة.

«التحكم بوسائل الإعلام لحماية النظام والدعاية له.

«استغلال سياق الحرب (العالمية) ضد الإرهاب لتعزيز الوحدة الوطنية الملتهمة حول شخص الرئيس.



تنتباهو الذي قاد إسرائيل على مدى أربع ولايات، وبين زئيف جابوتنسكي الذي قاد مجموعات ارتكبت مذابح في فلسطين (مجموعة الدفاع الذاتي)، وحيث انتقل الأول من منعطف الضم في الضفة الغربية إلى القوانين التي تخنق الحريات في إسرائيل، وصولاً إلى التحالفات التي أقامها مع شعبيات أقصى اليمين في أوروبا.

ولقد وصل الأمر إلى حد أن بن غوريون (أول رئيس وزراء لإسرائيل) أطلق على جابوتنسكي اسم «فلاديمير هتلر»، وسمّى النازيين «تصححيين ألمان». وهذا التقارب الأيديولوجي والسياسي (للصهيونية) تجسد مع الفاشيين بخاصة.

ومن ثم يعرض الباحث لصعود التيار الصهيوني اليميني، والليكون، والذي استغل استياء اليهود الشرقيين من التمييز، وأطلق حركة استيطان مكثفة وشاملة (في عهد مناحيم بيغن وأرييل شارون)، وحالة الحرب الدائمة التي تعيشها إسرائيل، ليستمر في الإمساك بالسلطة ويتفادى النزاعات والتوترات الداخلية والشروع الاجتماعية القائمة في إسرائيل، والتي تحتل المرتبة الثالثة بين بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) في ميدان الفقر.

ويخلص الباحث إلى أن الحضور الكلي للمواجهة مع الفلسطينيين، ومع العالم العربي حتى السنوات الأخيرة - هو ما يشكل خصيصاً الشعبوية الإسرائيلية.

شعبوية بوتين

- جان رادفاني، الأستاذ في المعهد القومي للغات والحضارات الشرقية في باريس، ويعنوان (فلاديمير بوتين أو التعبئة الوطنية)، يحلل مسيرة الرئيس الروسي بوتين، والعوامل التي دفعته نحو هذا الموقع الشعبي المتين، كما كشفت نتائج الدورة الأولى من الانتخابات الرئاسية الروسية في 18 آذار (مارس) 2018، وحصوله على نسبة 76,6% من الأصوات المقترعة. ومن هذه العوامل، ضم روسيا للقرم في العام 2014، وضموده أمام موجات العقوبات الغربية التي تلت، ودوره الجديد في الأزمة السورية، والذي أكد عودة روسيا إلى الحلبة الدولية، وغيرها.

ولا يمكن تجاهل العمل الدعائي الثابت المتواصل الذي قادته وتقوده الإدارة الرئاسية في روسيا في هذا السياق. وقد نجح بوتين في تعبئة أو تحشيد أكبر إجماع ممكن حول مقترحات الحكم. وهو لا يتردد من أجل هذا في اللجوء إلى مروحة من المضردات والإحالات والمرجعيات البالغة الاتساع والمتكيفة مع قطاعات واسعة من المجتمع.

كما أن اللجوء إلى القيم الوطنية هو عنصر أساسي في الخطاب البوتيني، وحيث تجد الكنيسة الأرثوذكسية وبطريكية موسكو نفسيهما في قلب هذه العودة إلى القيم الوطنية، والتي وصفها الباحث بدالة الحملة الصليبية المحافظة.

وفي الخلاصة، فإن كثيراً من نداءات دونالد ترامب (جعل أميركا عظيمة مجدداً) يقارب خطابات فلاديمير بوتين في العمق. لكن إحدى الخصائص الرئيسة للشعبوية على الطريقة الروسية، هي أن المسألة فيها هي مسألة

الولايات المتحدة يتفسر في جانب كبير منه بكونه نتيجة اقتراع الأهالي الذين يعانون المنافسة الدولية، وبخاصة سكان «حزام الصدأ»، الواقع في منطقة شمال شرق الولايات المتحدة التي اجتاحتها منافسة البلدان التي يُطلق عليه اسم الصاعدة، وأولها الصين.

كما يشكل الاتحاد الأوروبي ومنطقة «الأورو» الرمي المفضل للخطابات الشعبوية الأوروبية، لأن البناء الأوروبي يحمل معه خسارة الدول الأعضاء للسيادة، وذلك لمصلحة مؤسسات ما - فوق قومية (مثل لجنة المصرف المركزي الأوروبي BCE...). والأيديولوجيا النيوليبرالية، التي هي مضمرة في البناء الأوروبي، تقدم حججاً مؤاتية تماماً للشعبيين الذين ينددون بالتخلي عن السياسات العامة الإردابية التي تهدف إلى مواجهة العولمة.

وعليه، يرى أغلبية المؤرخين والاقتصاديين أن الأزمات الاقتصادية والاجتماعية تشكل السبب الأساسي لصعود الشعبويات، ذلك أنها تحمل معها البطالة والحيث والظلم والتفاوتات، وتضع معالم الهوية المكونة للرباط الاجتماعي (الامة، السلطة، الأمن) موضع إعادة نظر؛ وهذا ما حدث مع أزمات الرأسمالية، كأزمة 1929، وأزمة 2008.

علم اجتماع الشعبوية

عن (علم اجتماع الشعبوية)، يتحدث فرانسوا دوبيه، أستاذ علم الاجتماع في جامعة بورجو، ومدير الدراسات في معهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية (Ehess)، منطلقاً من تصنيف خاص لما سماه شعب الخطاب الشعبي، والذي يتأرجح بين ثلاث دلالات مختلطة. على الرغم من اختلافاتها: شعب الطبقة، شعب الأمة، والشعب السيد.

ويؤكد الباحث على أهمية التماسك الأيديولوجي للشعبوية، حين تستصرخ الشعب - الطبقة وتنادي الشعب - الأمة وتسلم أمرها إلى الشعب السيد. وهناك نقطة مشتركة بين المياليات الشعبية كافة، وهي الشعور بأن المجتمع يتشعث ويتفكك ويتحلل وما تعنيه كلمة «المجتمع» هنا هو قيام دولة قادرة على الفعل والتصرف، وتقوم بدمج صلب راسخ لأمة واقتصادها.

وهنا يعرض الباحث لأنموذج ناخبي الجبهة الوطنية (اليمينية) في فرنسا، والذين ظهروا كناخين أكثر شعبية وأكثر عمالية من القوى الأخرى، كما كشفت نتائج الدورة الأولى من انتخابات العام 2017 الرئاسية؛ فقد اقترح 37% من العمال، و32% من المستخدمين لمارين لوبان (Marine lepen)، التي جاءت في الطليعة لدى المقترعين من أصحاب المهن الأقل، والمقترعين من ذوي الدخل المحدود، ولدى الأقل حيازة للشهادات الدراسية.

بروز القومية الشعبوية المفاجئ

حول (بروز القومية الشعبوية المفاجئ)، في أوروبا تحديداً، يتحدث باسكال بيرينو، أستاذ العلوم السياسية في معهد العلوم السياسية في باريس، حيث كشفت انتخابات شهر أيار (مايو) الأوروبية وجود دينامية أحزاب شعبية قومية، وتنتهي أحياناً، وفي العديد من البلدان، إلى أقصى اليمين.

وبصرف النظر عن المراجع العقائدية المتباينة المتنافرة، والضبابية حيناً والمشوشة حيناً آخر، وعلى الرغم من المسارات السياسية المتنوعة، فإن هذه التنظيمات تصف بضر من التشغيل هو عمل وتشغيل حزب مركزي واقع تحت سلطة رؤساء كاريزماتيين إلى هذا الحد أو ذلك، ويلجأ لجوءاً متكرراً إلى الديماغوجية الشعبية، وإلى بعض الموضوعات المركزية المتواترة.

ويلفت الكاتب إلى أن وجوه الضيق والحرج والقلق المتولدة عن تداعي الرأسمالية الصناعية قد حمل إلى الشعبوية القومية الأوروبية كتاب من الناخبين الشعبيين الذين جاؤوا يسندون القوات الانتخابية المتحدرة من البورجوازية الصغيرة (الحرفيون، التجار، صغار المقاولين، العمال المستقلون).

والعنصر البارز من عناصر أزمة الحداثة التي تغذي دينامية القوميين الشعبيين، هو الضيق والوهن الديمقراطي، حسب تعبير بيرنو.

كما أن القوميين الشعبيين الأوروبيين موسومون بالغموض من حيث إنهم «شاهد على توجه مضاد للسياسة معاد لها، أو على توجه لا سياسي، أو سياسي منحول، يرتبط بالتزام قومي أو ذاتوي».

إن أوروبا والهجرة والعولمة لا تتوقف عن معاودة تنشيط الخشية من فقد الجوهر القومي.

الشعبوية الإسرائيلية

- دومينيك فيدال، الصحافي والمؤرخ الفرنسي، ويعنوان (الشعبوية الإسرائيلية: من جابوتنسكي إلى نتنهاو الابن)، يقارن بين بنيامين

عنوان الكتاب: عودة الشعبويات: أوضاع العالم 2019

تأليف: مجموعة باحثين

إشراف: برتران بادي ودومينيك فيدال.

الترجمة: (عن الفرنسية) نصير مروة.

الناشر: مؤسسة الفكر العربي - الطبعة الأولى -

2019.



ما الذي حدث في القرن العشرين؟ بيتر سلوتردايك

علي الرواحي *

من الواضح أننا لا نستطيع التوقف عن الاستفادة وتعلم الكثير من الدروس التاريخية والفكرية من القرن العشرين، وهذا يتضح بشكل كبير في عدد الأعمال والكتب في هذا الشأن، غير أن الفيلسوف الألماني الشهير بيتر سلوتردايك صاحب الكثير من المؤلفات في حقول مختلفة: فلسفية، وسياسية، وجمالية، واجتماعية وغيرها، له خارطة مختلفة في تتبع مسار هذا القرن وأحداثه المختلفة: فهذا القرن حافل بالكثير من الأحداث والمآسي التاريخية كالحروب، والأزمات الاقتصادية، وصعود وانحسار الديمقراطية بشكل دراماتيكي، وصعود الأنظمة الشمولية وغيرها الكثير. غير أن سلوتردايك يذهب في نفس اتجاه الفيلسوف الفرنسي الآن باديو في مفهوم الشغف بالواقع، من حيث أن العنصر البارز والهام لهذا القرن هو الاتجاه لموضحة الحقيقة والواقع كما هي الآن، وذلك من خلال النزوع الكبير نحو الاستهلاك والمواد التكنولوجية المتزايدة.

بطب التجميل، أو العناية بالإنسان وكل ما يتصل به. في الحديث عن التاريخ البشري لا يمكن تجاهل العولمة بكل تعقيداتها، وتموجاتها المختلفة، فإذا كانت بدايتها من الجانب البحري والتجاري فإنها اتخذت مسارات مختلفة تصل إلى الجانب الأيكولوجي أو المتعلق بالبيئة والمناخ وتأثير ذلك على الجانب البشري، ففي العودة للجانب الاصطلاحي لمفردة العولمة نجد أنها - وحسب سلوتردايك - مسجلة باسم الاقتصادي الألماني الأصل والأمريكي الجنسية ثيودور ليفيت (1925-2006م) وذلك في مقالة له في مجلة هارفارد بزنس ريفيو في عام 1983م، حيث تحدث عن عولمة الأسواق، الأمر الذي جعل هذه المفردة تجتاح المراجع، والتحليلات الصحفية ونشرات الأخبار و الدراسات الأكاديمية وغيرها الكثير. تشير هذه المفردة التي أصبحت لاحقاً بمثابة مصطلح إلى حدوث تحولات جذرية في العلاقات العالمية ليس على مستوى الأسواق فقط، بل على المستويات الإنسانية أيضاً. يعود هذا التحول بنسبة كبيرة منه وبشكل خاص في هذه الفترة الزمنية إلى تزايد وسائل التواصل الرقمي بين البشر أو ذلك التحالف الوثيق بين العلوم الرقمية والعلوم الحاسوبية، مما انعكس على الأنشطة المصاحبة لذلك، بما فيه التقارب والتداخل والتأثير الكبير بين الحضارات والأفراد. ففي السابق كان التواصل كما هو معلوم يتسم بالبطء الشديد وبشكل خاص فيما يتعلق بالمسافات والتبادل الثقلي. ولكي نفهم أو نقرب من جوهر العولمة وتأثيراتها المختلفة ينبغي ألا ننهر بأثر الثورة الرقمية وسطحها اللامع. فمن منظور الأنظمة والإجراءات نجد أن البطء مازال كبيراً، في حين أنه من الناحية التاريخية نجد أن التحولات المتسارعة لها نصيب كبير من الصحة والواقعية، فالعولمة لا يقتصر تفاعلها على الأسواق والعالم الرقمي.

علاوة على ذلك يستحوذ الإرهاب على مساحة واسعة في هذا العمل، فالحضارة البشرية بحسب سلوتردايك

البشري عن طريق الجانب الثقلي، ففي هذا الجانب توصل علماء الانثروبولوجيا إلى الإمكانيات الكبيرة التي يمتلكها الإنسان وقدرته على التأقلم، والتي تستخدم لوصفها الكثير من المفردات كالترويض، والتدجين، والتربية، والميول وغيرها، حيث اخترعها الإنسان بشكل عام لكبح جماح الفردانية والاختلاف البشري الطبيعي. ذلك أن هذه العمليات المختلفة - كما يقول سلوتردايك - وجدت لدى أفلاطون والتي سعى من خلالها عن طريق التعليم الأكاديمي الذي اتبعه إلى تربية رجل الدولة أو تنشئة رجال السياسة، وهذا يتطلب للخروج من حالة الطبيعة الأصلية التي يعيشها الإنسان ضرورة الانتقال إلى الحكم العقلاني والأخذ بالحسبان الكثير من المحددات الثقافية والإنسانية المختلفة. فالتعلم والسياسة هما الجانبان الأكبر والأبرز لهذا التدجين والترويض، فهما يُعبران عن الجزء الكبير من ضرورة الالتزام الذاتي دونما الحاجة لوجود رقيب أو قائد يراقب التصرفات الفردية، ويقف خلفها، أو كما هو التعبير القديم: لا حاجة لاتباع طبيعتنا الخاصة بنا. تستند هذه النظرة لدى أفلاطون بشكل رئيسي إلى نظرية الرعوية السياسية، أو الرعوية الميتافيزيقية، والتي من خلالها يتم التدجين ووضع كل التصرفات البشرية بهدف عقلنتها وإنتاج ما عُرف لاحقاً بالإنسان العاقل. ولكن قبل مرحلة التدجين، ثمة مرحلة تستوجب العودة إليها لضرورتها وأهميتها الكبيرة في هذا الشأن، حيث نجد أنه في القرن العشرين - موضوع هذا العمل - قد تحقق إنجاز مهم في تعريف الشرط الإنساني أو الوضع الإنساني الذي لا يمكن البدء به من نظرية التطور، بل تبدأ على الأرجح من التلاقي بين الشرط الطبيعي والفاعل البشري، والتي على الأرجح لم تكن بالضرورة السبب المحفز على البقاء والاستمرارية، فالقدرة على التعلم وتزايدها جعلتهم يرتبطون فيما بينهم من الناحية الاجتماعية وذلك عن طريق الجماليات الحيوية أو ما يمكن وصفه

في هذا العمل المكون من ١٢ فصلاً، تتوزع خارطة القرن العشرين لدى سلوتردايك إلى مواضيع شتى، قد تبدو أنها مشتتة أو لا علاقة بينها من الوهلة الأولى، غير أن هناك خيطاً ناظماً يجعلها مترابطة. حيث نجد أنها متوزعة بين وجه هايدغر السياسي وتعليق مقولة نهاية التاريخ، وتأويل جاك دريدا للأحلام من جهة، وإلى علاقة الرواية الإيطالية والحداثة الجديدة بوصفها تواصل لعصر النهضة، إلى الاهتمام بالعولمة البحرية وعلاقتها بالبيئة من الجهة الأخرى، وغيرها الكثير من الخطوط العريضة.

في الفصل الأول يتحدث سلوتردايك عن حقبة الانثروبوسين والتي اختلف حولها علماء الجيولوجيا كثيراً، وحول وجهة التقسيم، وصلاحيته العلمية، وتأثير ذلك على مكانة الإنسان في الكون، ففي العام 2000م أعاد عالم الكيمياء الهولندي بول كروتزن والحائز على جائزة نوبل في هذا المجال في عام 1990م، أعاد إحياء فكرة ضرورة تسمية هذه الحقبة بالانثروبوسين وذلك بعد اقتراح القس الإيطالي أنطونيو ستوباني في عام 1873م، والذي يشير إلى تأثير الفعل البشري على الطبيعة بشكل أكبر من السابق، خاصة في العقود الأخيرة بما يستتبع ذلك من التأثير على المناخ، حيث تشير مقترحات الفترة الزمنية لهذا العصر من بداية الثورة الزراعية 12000 إلى 10000 سنة، كما تذهب تبعات هذه الحقبة إلى ظهور الإنسان العاقل بكل ما تعنيه من إمكانيات كثيرة تقوم على الإنتاج، واستخدام الموارد الطبيعية من جهة، وتدمير هذه الإمكانيات المتوفرة في سبيل السيطرة وزيادة الاستهلاك من الجهة الأخرى، حيث استوجب ذلك إنشاء سياسة جديدة للتعامل مع الأرض بالمعنى الواسع للكلمة، وذلك للحفاظ على الموارد البشرية للأجيال القادمة.

بالإضافة لذلك يطرح سلوتردايك سؤالاً مهماً حول الإشكاليات الكثيرة المصاحبة لعملية الترويض أو التدجين



يكشف من خلالها إصابته بنفس مرض دريدا ألا وهو سرطان البنكرياس، حيث أضاف في هذه الرسالة وبشكل ساخر بأن ابنته اعتقدت بأنه أصيب بهذا المرض بسبب قراءته الكبيرة لهايدغر.

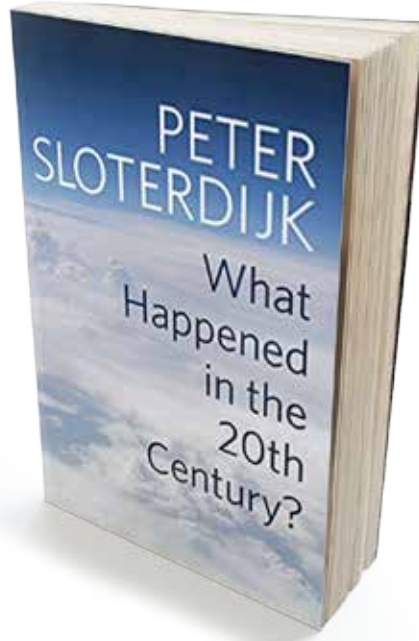
في جانب آخر من هذا العمل يتطرق سلوتردايك لقضية جدالية، أثار الكثير من النقاشات الفلسفية المختلفة، حيث إن الحضور الكبير للفيلسوف الألماني هايدغر في القرن العشرين لا يمكن أن يمر مروراً عادياً على الفلاسفة أو المشتغلين في الحقل الفلسفي، وربما مسألة نهاية التاريخ التي ابتدأت مع هيغل واستؤنفت لاحقاً مع هايدغر تحتاج لقول إضافي، وبشكل خاص ما حدث في عام 1933م، والتأويلات المختلفة لأحداث حياة الأستاذ كما يطلق على هايدغر في الكثير من السياقات، حيث أصبح الحديث عنه شبه ضروري للكثير من الفلاسفة المعاصرين. ففي الحديث عن «سياسة هايدغر» وهو عنوان أحد فصول هذا العمل، يورد سلوتردايك اعتراضه على المصطلح لأنه يشير إلى عصر ما بعد الحرب العالمية الأولى، والذي طبع بالكثير من الأحداث ودراسة تاريخ العقلية التي تشير إلى نهاية الواقع أو تراجعها.

فيما يتعلق بمقولة نهاية التاريخ ثمة تاريخ متداخل ومتماوج في هذا السياق، فمن دوستوييفسكي إلى كوجيف الشارح الأكبر لهيغل، مروراً بهايدغر، ثمة حاجة لمعاودة التذكير في هذا الموضوع من حيث مفاهيم مركزية كالقراءة الحرفية للمفهوم، والتفريق بين النهاية والأهداف المستقبلية القادمة، حيث نجد أن مفهوم «ما بعد التاريخ» يحمل بين طياته بُعداً ثيولوجياً يرى أن ثمة قوى تتدخل في التاريخ فجأة ودون تقديم مسبق. في حين أن الترجمة الدنيوية لهذا المصطلح تذهب إلى متابعة الأحداث حتى النهاية أو الوصول إلى النبع في استعارة ضرورية في هذا السياق.

في نهاية هذا العمل، يتطرق سلوتردايك إلى الكثير من القضايا الراهنة، منها ما هو سياسي اجتماعي كما هو الحال في الدستور، حيث يصفه بأنه النص المقدس الذي يعبر عن العقد الاجتماعي، وسيادة الدولة، بحيث أن الاتفاق على نصوصه، ومواده، أو تغييرها يستوجب جهداً كبيراً، وأغلبية ضرورية.

الكتاب: ما الذي حدث في القرن العشرين؟
المؤلف: بيتر سلوتردايك
الناشر: Polity 2018
عدد الصفحات: 280 صفحة
لغة الكتاب: الإنجليزية.

* كاتب عُماني



في مقابل ذلك، فإن دريدا الذي يعتبر فيلسوف الإسقاطات الطيفية كما في كتابه عن أطيف ماركس، والذي تحدث عن نهاية حياته بعيداً عن النموذج الأصلي أو المتعارف عليه، وذلك في سياق مقابله في عام 2004م، قبل أشهر من وفاته الفعلية، حين اعترف الفيلسوف الفرنسي بأنه لم يتعلم كيف يتقبل الموت، وأنه لا يزال منيعاً معرفته عندما يأتي، فهو لم يتعلم طوال حياته الفلسفية المديدة فيما يتعلق بموضوع الموت تحديداً. فهو بهذه الطريقة يعترض على التاريخ الفلسفي الكلاسيكي والمعاصر للفلسفة، متجاهلاً بذلك الأبعاد الوجودية المختلفة له، وفي نفس الوقت لم يتفق مع الكثير من الفلاسفة الذين أشاروا إلى أي درجة بفهم أو بدون فهم، بإيمان أو بدون إيمان، قد ورثوا تقاليد فلسفية عميقة من أفلاطون، هيغل وحتى هايدغر، الذين تحدثوا عن تجاربهم الوجودية.

فبالعودة إلى دريدا نجد أنه عارض بشكل كبير الكثير من الحكم الماضية عن طريق تنظيراته المختلفة، وبشكل محدد في تفرقة الميتافيزيقية بين الحداد والحزن أو الكآبة أو المالنخوليا، لأن هذه الأخيرة كانت حاضرة وبكثرة في الأعمال الفلسفية القديمة والتي تشير إلى اكتئاب نفسي أو حالة نفسية سوداوية تجعل المزاج الشخصي كئيماً ونكوصياً، كما أنها في السابق رُبطت بالعبقرية والإبداع، حيث توجت هذه التنظيرات في نصه «عمل في الحداد» والذي نُشر عام 2001م، والذي اتخذ من المقولة الفرويدية مساراً موجهاً له. ولأجل فهم هذه العلاقة الفلسفية المعقدة والمنتشرة في نصوص الفلاسفة يعود بنا سلوتردايك إلى كتاب الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي في عمله الذي يتقاطع بشكل كبير مع دريدا، حيث طوراً استراتيجياً شخصية للتعامل مع القلعة الأوروبية المسكونة وذلك من خلال رسالة لرورتي

تكتسب سماتها بشكل مستمر من جدلية الصراع بين التذكر والنسيان، فالتذكر في الكثير من الحالات يقوم على العودة للماضي، حيث تسيطر عليه رغبة العودة للأحداث السابقة عن طريق تشكيل قطع كثيرة، وصور مختلفة عن تلك الفترات التي تساهم في إيقاظ الوعي المعاصر، وربطه بالأحداث القديمة. غير أن هذه الموازنة بين الماضي الذي يقبع في النصوص والذاكرة والحنين إليها، قد أحدثت نقلة نوعية كبيرة لعودة الكثير من السلوكيات التي لا تنتمي للعصر الحاضر. حيث نجد أن تزايد وانتشار السلوكيات الاستهلاكية للكثير من الصور والمخيلات الماضية قد انتعش بسبب سيطرة العقيدة النيوليبرالية وانتصارها الظاهر. كما يشير هذا أيضاً في المقام الثاني إلى ضعف الثقافة اليسارية وتقاليدتها المختلفة، بل وتراجعها الذي من الممكن أن يؤدي إلى الفرق في الخوف، الأمر الذي يزيد من الثقافة الاستهلاكية ويضعف الرغبة في اللجوء إلى الرأسمالية بكل ما تعنيه من هلع وعدم الرغبة في التجديد. يشير الخوف في هذا السياق إلى أعراض قلق محافظ، غير تقدمي، لم يلتزم بالنظرة السياسية التقدمية. فهذا العصر الذي وصفه المؤرخ البريطاني الشهير أريك هوبزباوم بأنه عصر التطرف، يجد صدها في الكثير من السلوكيات المختلفة، منها التطرف الديني، وتطرف الذاكرة بالعودة للرموز المختلفة.

تنتشر في هذا العمل الكثير من المرجعيات المتضادة التي تذهب إلى انتعاش الذاكرة وبأنها السبب الأساسي للتطرف، في حين أن بعضها يشير إلى أن هذا العصر عن طريق الكثير من أحداثه ساهم في انبثاق وتشكل الإنسان الحديث والعصر الحديث بشكل مواز لذلك. من أهم هذه المرجعيات اعتماد سلوتردايك على كتاب الفيلسوف الفرنسي الآن باديو في تحليلاته المختلفة في كتابه القرن والذي صدر عام 2007م، حيث يسعى باديو إلى استنطاق أحداثه وليس عن طريق الأيديولوجيات المختلفة، بل عن طريق الأفعال التي انتشرت فيه، وتم طبعها بطابعها.

في الجانب الفلسفي لهذا العمل، يتطرق المؤلف إلى الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا والذي يصفه بأنه فيلسوف القلعة المسكونة، وذلك في سياق تفسير دريدا للأحلام، حيث نجد أن التصور القديم للفيلسوف كان موازياً للموت، والذي أثر بدوره على التقاليد الأوروبية القديمة ما قبل المعاصرة، أو تلك التي استمدتها الكثير من الفلاسفة لاحقاً من أفلاطون مؤسس الفلسفة حسب سلوتردايك، مروراً بهايدغر الذي نحت مصطلح الدزائن الذي يشير إلى ذلك الفرد الذي يسعى إلى موته الخاص به، أو تلك المقولة التي تذهب إلى أن الوجود يتضمن الموت، حيث نجد أن هذه الأفكار والتصورات قد تأثرت بأجواء الحربين العالميتين كما يذهب إلى ذلك سلوتردايك.



الحاسة الثامنة محمد شميم

فيلابوراتو عبد الكبير *

هذا الكتاب رحلة فكرية شيقة ومفيدة على مطية كتب متنوعة المواضيع. يشرح الكاتب من خلالها كيف أن العشق للكاتب ساعده على تشكيل حياته الفكرية وتصحيح وجهة نظره إلى الحياة. ولكن اللافت فيه أنه ليس بسيرة حياته بمعنى الكلمة. وخلال هذه الرحلة نلتقي عددا من الفلاسفة والأدباء كما نشاهد أفلاما عالمية ونعيش لحظات في فضاء تخمره إيقاعات موسيقى. يبحث الكاتب عن أجوبة لأسئلة تصدر من داخله خلال تجواله الفكري هذا واللقاء مع المفكرين. نقرأ فيه تحليلات دقيقة عن النظريات الأناركية والوجودية والعقلانية والماركسية والفلسفات الدينية. ويستعرض تاريخ المعارك الفكرية والعنصرية ليغربل من بين تلك الأفكار الرؤية الإنسانية الخالصة.

كيف نقرأ الكتب ونتعامل معها؟ لماذا نقرأ الكتب؟ نجد في هذا الكتاب الإجابة لهذا السؤال. ويعترف الكاتب بأنه قد تكون لهذا السؤال إجابات أخرى. ولكن المهم هي الأسئلة. ويحكي رأي الفيلسوف سقراط الذي يؤكد على نسبية الإجابات لأي سؤال يطرح.

هي التي تعد حواس الجسد. أما الحواس الثلاث المتبقية هي النفس والعقل والشعور. وفي عبارة أخرى الفكر والإحساسات والتجارب. وكما المعرفة يقوم على قواعد هذه الحواس جميعا.

ويقول إن الكتب هي التي تساعد على توسيع إطار الفطرة التي فطر الله عليها الناس؛ لأنها تجعل المنطق راسخ الجذور. والمنطق هو من قواعد الإيمان على حد قوله. ويؤكد بأنه يؤمن بالله لأن الكفر مستحيل. ولكن طفولته كانت بعيدة عن الوعي الديني حيث كان تعليمه محدودا داخل المدارس العامة الحكومية استثناء من التقليد الراجح بين المسلمين بإلحاق أولادهم في المدارس الدينية ليتعلموا الدينيات في فترة صباحية قبل بدأ حصص الدروس في المدارس الحكومية، كان مولعا بالمطالعة في مرحلة دراسته الابتدائية. وفي مرحلة المراهقة استحوذت عليه الفكرة العقلانية الإلحادية نتيجة لطبيعة قراءته المعادية للدين. هي كانت مرحلة الشكوك. ولكن الشك كان بمثابة عتبة الإيمان. ويعترف بأن القراءة هي ذاتها وصلته من شكوك البحار الزاخر إلى بر أمان الإيمان الهادئ. كانت هذه القراءة جزءا من بحثه عن وجوده. خلال هذا البحث مر على كتب فرانز كافكا وألبير كامو ودوستويفسكي وجان بول سارتر التي تتناول الجانب الداخلي والوجودي للنفس البشرية. لم يكن اهتمامه بالجانب الإبداعي لتلك الكتب بل كان بجانبها الفلسفي الوجودي. الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يشعر بوجوده. لذا، يرى سارتر أن «الأنا» له أهمية ذاتية. ليس للإنسان خلود. وهو ملعون لتجديد ذاته. نحن مثل الممثلين المطروحين على خشبة المسرحية دون أن نعلم الحوار. سارتر يرى حرية الإنسان لعنة عليه. لا مناص له من مسؤولية أعماله. ولكن الإنسان الذي أحرز «التقدم» بعد انحطاط سلوكه إلى منزلة الخنازير يُحمل مسؤولية أخطائه على جده آدم.

أما كامو فكانت لحياته ثلاث مراحل؛ في المرحلة الأولى رأى الحياة عبثا ليس لها معنى. المبدأ الوحيد الذي له

إصلاحها. إنما تنهار الأخلاق وتهدم الحضارة في حين الحرمان من معرفة غرائز النفس الإنسانية حق معرفتها. الشهوات والغرائز قوى طبيعية لتحقيق أهداف الحياة. لا يستطيع الإنسان إحراز التقدم بدونها. بنى الإنسان حضارته على قواعد غرائزه النفسية. نقرأ في علم النفس الجديد عن «الطاقة اللبية» (Libidinal energy). وهذا المصطلح قد استعمله الإمام الغزالي قبل قرون، وذلك في عبارة «القوة الشهوانية». فكرة الزهد مبنية على أساس أن الطريق إلى تغلب الشهوات إعدامها. وهي فكرة لا بقاء لها. ويشير إلى مثال لبطلان هذه الفكرة من قصة حياة الزاهد «فيبهانداهاكان» التي ورد ذكرها في ملحمة «ماها بهاراتا» الهندية. اعتقد «فيبهانداهاكان» أن ابنه «إريشيا شرينغان» نتيجة ذنب من جانبه؛ فاتخذ قرارا بأن لا يتكرر هذا الخطأ من جانب ابنه فقام بترتيبات صارمة لتربيته داخل أعماق غابة بعيدا عن نون النسوان. ولكن العشق شق الطريق إلى صدر «إريشيا شرينغان» في صورة عاهرة اسمها «فيشالي». انهارت أمامها جميع الواقيات التي رتبها الوالد لحماية ابنه. اضطر «فيبهانداهاكان» لأن يقف واجما لما ارتحل «إريشيا شرينغان» الذي عرف المرأة والشهوة ممسكا بيد تلك المومسة. الفكرة المادية تنقل زمام الحياة إلى يد الشهوات بينما تحاول الروحانية البحتة استئصال تلك الشهوات. كلاهما مرفوضان في نظر القرآن؛ لأنها يجعلان الإنسان منقبضا في داخله. الأول يفتح أبواب اللذات أمام الإنسان على مصاريعها بلا قيد ولا حد بينما الثاني يمنعه من جميع الالتزامات نحو مجتمعه. ويشير الكاتب إلى أن أبا البشر آدم لما أراد الله خلقه لم يتركه وحده في الجنة بل جعل له زوجة. عاش آدم في الجنة وهو يحس ريحة زوجته.

ويقسم المؤلف حواسنا إلى حقلين: حقل الجسد وحقل الشعور. الجسد صورة والشعور فكرة. اللذة حاسة اللسان، والريحة حاسة الأنف، والصورة حاسة البصر، والصوت حاسة الأذن، واللمس حاسة البشرة، هذه الحواس الخمس

وفي أحد الفصول من الكتاب -نقلا عن الأديب الناقد في لغة «ملايالام» أم. كريشنان ناير- يضرب الكاتب مثلا للقراءة النموذجية. حين تزورون أحدا من أصدقائكم في بيته يقدم لكم كوبا من الشاي. ولكن بعض الناس يستغرق في الحديث مع المضيف وهو يتجاهل الشاي أو يتظاهر بعدم رغبته في الشاي. وإن يُذكره المضيف من حين لآخر بأن الشاي سيبرد لا يهتم به. وأخيرا قد يحتمي الشاي البارد. والبعض الآخر يشرب الشاي الساخن فور تناوله إياه فيحترق لسانه وشفته ويصبح عرضة للسخرية. والفئة الثالثة يرشفه قليلا قليلا باستمتاعه خلال محادثته مع صاحب البيت. والقراءة أيضا حالها مثل هذه الحالة في رأي «كريشنان ناير». يمكنك أن تتجاهل كتابا تاركاً إياه لتبرد سخونته ومن ثم تقرأه في جلسة واحدة دون أن تفهم شيئا من مضمونه، كما يمكنك قراءته قراءة جادة بأخذ وقت كاف لتفهم مضمونه جيدا. وهذا الأخير من نوع القراءة هي القراءة المفيدة.

ماذا يقصد المؤلف بعنوان الكتاب «لحاسة الثامنة»؟ الحواس الخمس معروفة. وهي السمع والبصر واللمس والتذوق والشم. تلك أدوات يستعملها الإنسان للتفاعل مع ما حوله. وبما أن الإنسان ليس مخلوقا من عناصر مادية بحتة نفترض فوق هذه الحواس الخمس حاسة سادسة. يسميها الكاتب النفس. فما الحاسة السابعة والثامنة؟ نجد التفاصيل عنهما في الفصل الأخير من الكتاب بعنوان «التغلب على الشهوات». يرتئي الكاتب أن الحواس لا تقتصر في الستة بل تتجاوزها. وهي ما توصل إليه من استنتاجه من قراءة بعض ملاحظات الإمام الغزالي. يقول إن أفكار الإمام الإصلاحية ناتجة من محاولته لدراسة نفس الإنسان في عمقها. وهذه الأفكار لا ترى شهوات الإنسان الجسدية سخيفة ولا ذليلة. وهي نفس نظرة الإسلام. يعترف الإسلام بوجود العالم المادي ويحترم غرائز الإنسان الجسدية مع ما يتبنى من أفكار روحانية. ونظام أخلاق الإسلام لا يقوم على إعدام الشهوات النفسية بل يقوم على



جديد من كتب المفكر اليوغوسلافي علي عزت بيغوفيتش والمفكر الباكستاني أبي الأعلى المودودي والعبقري الإيراني د. علي شريعتي. حين كان يرى المادية الجدلية نظرية سليمة يصل إليه كتاب «الإسلام بين الشرق والغرب» لبيغوفيتش. والفكرة الرئيسية التي قدمها بيغوفيتش في هذا الكتاب «قطبية الإسلام الثنائية» (Bipolarity of Islam). وهي قوة الإسلام لتوليف النقيضين. خصوصية الإسلام تركز على وسطيته وطبيعته الجدلية. ويقول وبما أن التناقض حقيقة فإن البصيرة عن العلائق الثنائية هذه في الإسلام إنما تشير إلى شمولية فلسفته. منذ سقراط، عالج الفلاسفة هذه الثنائية بطرق مختلفة. ونجد في الفلسفة مختلف الجدليات مثل الجدلية السقراطية والجدلية الكارثيسية والجدلية الهيكلية كما نجد الصور البدائية منها في رؤية كنغوسوس ومواعيط بوذا. المادية الجدلية لما ركس هي الطبعة الحديثة منها. وقد قال بيغوفيتش إن نظرتة إلى الإسلام ليست على أنه تعليمات دينية، بل على أنه رؤية عالمية. وفي رأيه هناك ثلاث وجهات نظر تجاه العالم «وجهة نظر مادية ووجهة نظر دينية رهبانية ووجهة نظر إسلامية». ويقدم بيغوفيتش الإنسان الناشئ من نظرية الارتقاء لداروين والإنسان الذي صورته الفنان مايكل أنجلو على جدران كنيسة «سيستين» في الفاتيكان مثالين لهاتين النظرتين ويضع وسطهما الإسلام، وذلك أيضا مع استيعاب كل من داروين ومايكل أنجلو. وفي كتاب آخر بعنوان «الإعلان الإسلامي»، أشار بيغوفيتش أن العقبتين الكبيرتين أمام إصلاح الإسلام هما الحداثيون المندھشون بالثقافة الغربية والعلماء التقليديين. الحداثيون رفضوا نظام قيم الدين كاملة. أما العلماء المحافظون فتركوا لب الدين متمسكين بقشره الأوجف.

ومن روائع الكتب التي غيرت بوصلة حياة المؤلف «تفهم القرآن» و«الخلافة والملوكية» للأستاذ المودودي و«دين ضد الدين» و«مقالات في العلم الاجتماعي» للدكتور علي شريعتي. وقد قام مفصلا بتحليلات شيقة عن أفكار هذين العملاقين كما ألقى ضوءا على أفلام عالمية ذات علاقة بالكتب التي تمت مراجعتها، ولكن لا تسمح لذكرها المساحة. كما تقول شخصية في أحد أعمال جورج آر. آر: يعيش من يقرأ ألف حياة قبل موته، في حين يعيش من لا يقرأ حياة واحدة فقط. تنطبق هذه المقولة على الكاتب أيضا. وهذا الكتاب يشهد باطلاعه الواسع على وافر من كتب متنوعة وأفلام عالمية.

– الكتاب: الحاسة الثامنة

– المؤلف: محمد شمير

– الناشر: Pendulum Books نيلامبور،

كيرالا، ٢٠١٨، باللغة مالايا

– عدد الصفحات: ٩٤ صفحة

* مستعرب هندي



الحركة تأثرت بالمبادئ الدينية كانت شديدة المعادية للأديان والأحزاب السياسية المؤسسية. زعموا أن أمثال هذه المؤسسات تلوث براءة الإنسان الطبيعية. اعتقدوا أن الشخص ما دام حرا ومعتمدا على ذاته يكون ذا خلق كريم؛ لأن كل إنسان رباني في داخله. والحرية عنصر يوسع هذا الجزء من الربانية. أما المؤسسات الدينية والسياسية فإنها تعرقل هذه الحرية. هنا تتخذ الفلسفة المتعالية موقفا لصالح مذهب الفردانية (Individualism)، ولكنها لا تتحول إلى مذهب فردي ليبارالي يرفض القيم الدينية ذاتها. كان من أهم كتب تورو، أحد رواد حركة حماية البيئة والمعادي الشديد للرق، كتاب «عن العصيان المدني». حركة المقاطعة البريطانية لغاندي تنتمي لهذا الكتاب. تورو كان مصدر استلهام لكل من مارتن لوتر كينغ وتولستوي. الأنبياء أيضا في نظر الكاتب ممن أنكروا النظم القائمة والتقاليد السائدة. يقول إنما فعلوا في الحقيقة أن رفضوا السلطة (Power) ووضعوا مكانها المسؤولية. وفي نظر الإسلام كل الناس مسؤولون. وعلى أساس رفض الأنبياء النظام القائم يسميهم الكاتب فوضويين؛ لأنه إلى حد ما هو نفس وجهة نظر الفوضويين. ولكن الأناركية الفردانية والإنقلاب الفوري بدون انضباط وإمارة غير مقبول لدى الأنبياء. وهم كانوا قائل التغيير التدريجي. وينقل المؤلف هنا قول المسيح «إن مثل مملكة الرب كبذور سمسم تثبت تدريجيا». والتغيير أيضا يتحقق تدريجيا مثل البذور.

ومن الكتب التي مر عليها خلال بحثه عن سر الوجود «الفلسفة الهندية» للكاتب اليساري «ديفي برساد تشاتوبادهايا» و«الفلسفة الهندوسية» للفيلسوف الهندي الكبير ورئيس الدولة الأسبق أس. «رادهاكريشان» ومذهب بوذا ل. د. أمبيدكار صاحب الدستور الهندي وقائد المنبوذين وغيرها من الكتب الفلسفية. وأخيرا يكتشف الإسلام من

معنى ووجود حقيقي هو في نظره الموت. Stranger و Outsider وغيرهما من كتبه خير دليل على ذلك. وفي المرحلة الثانية نراه نائرا حين يعرف أن النظرية العيبية لا توصله إلى شيء. التحدي الناتج من هذه الحالة يتحول دعوة إلى الاستمتاع بالحياة. وكتابه «طاعون» تنعكس فيه فكرة تتجه إلى قيم تعطي للحياة معنى. والمرحلة الثالثة من حياته هي العودة إلى ذاته. وفي نهاية هذه المراحل نراه يقفز فجأة إلى كنف الله تعالى. وقد قارن جوستين غاردر (Jostein Gaarder) هذه المراحل في كتابه «عالم صوفي» (Sophie's World) مع تجارب «راسكولينكوف» البطل في رواية «الجريمة والعقاب» ل«دوسوفسكي». وهنا يذهب الكاتب إلى ما ورد في القرآن من ثلاث مراحل للنفس الإنسانية: النفس الأمارة (بالسوء) والنفس اللوامة والنفس المطمئنة، ويقول إن كلمة النفس هنا تؤخذ بمعنى كلمة Self في اللغة الإنجليزية مؤكداً بأن المصطلحات القرآنية مثل النفس والروح لا تطابق مغزى ما ورد من تلك الكلمات في الفلسفة المثالية (Idealistic Philosophy).

وفي رحلة الكاتب بحثا عن سر الوجود، تتناول أيضا قراءته كتابا صادرة في موسكو حول النظرية الماركسية مثل سلسلة أبجديات الاشتراكية وأبجديات المادية الجدلية وأبجديات الماركسية - اللينينية بالإضافة إلى سيرة حياة كارل ماركس وأنجلز التي كتبها «أندريه ستيبانوف». بحيث أن المؤلف ابن «بروليتاريا» كان له ميول إلى الشيوعية في عنفوان شبابه. قرأ في هذه الفترة On Religion و A Contribution to the Critique of Hegel's philosophy of Rights of Anti Dhuring لأنجلز و contradiction لما تسي تونغ، ويقول إن نظرية ماركس دقيقة وواضحة، وإن من ميزة الماركسية أنها استطاعت تقييم الأديان وانتقادها مع الاعتراف بفضيلتها وأهميتها دورها في التاريخ.

وفي مقال بعنوان «الثورة والتغيير» نجد تحليلات ملحوظة عن الفلسفة الفوضوية (Anarchism). وهي كلمة مشتقة من أصل يوناني Anarchia، an معناه بدون و Archos معناه قائد أو حاكم يعني حالة بدون قائد أو حاكم. الفوضويون هم المفكرون ضد النظام. فجميع المتمردون ورافضي التقاليد القائمة والخارجين على النظام فوضويون. وفي هذا المعنى يُعد فيهم الأنبياء والفلاسفة بما فيهم ماركس وتولستوي وغاندي. كان هينري ديفيد تورو من مصدر استلهام غاندي. إنما تعرف نظريته باسم «الفوضوية الهادئة» (Pacifist Anarchism). تورو كان المصدر لمبدأ غاندي اللانغف. كان تورو عضوا في حركة «الفلسفة المتعالية» (Transcendentalism) الرائدة في الولايات المتحدة الشرقية. وهم كانوا ممن يعتقدون بطيبة الإنسان والطبيعة الأصلية. ولو أن هذه

إصدارات عالمية جديدة

يطرح كتاب الإمبراطورية الجديدة للمفكر برونو لومير فرضية عن إمكانية اختفاء أوروبا. وهو لا يقصد السوق المشتركة بل المشروع السياسي. لم تكن القوى الانفصالية قوية على الإطلاق منذ معاهدة روما لعام ١٩٥٧: التوترات الداخلية بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي أخذت في الظهور، في حين قررت المملكة المتحدة مغادرة الاتحاد. لكن قبل كل شيء، تفرض المواجهة بين الولايات المتحدة والصين، اللتين تتصارعان على السيطرة على التكنولوجيا والقوى المالية، خياراً جذرياً بين أوروبا ذات السيادة وأوروبا الخاضعة. لقد حان الوقت لأوروبا لتأكيد قوتها أيضاً. قارة غنية بتنوع دولها، وبحدود حقيقية، وقوة تكنولوجية، تفضل الابتكار الصناعي، كما أنها قادرة على خلق فرص عمل وتدريب مئات الملايين من الأوروبيين. يمكن أن تكون أوروبا قوة في خدمة السلام، تدافع عن مصالحها الاقتصادية والعسكرية، وكما تدافع عن مؤسساتها فهي تدافع أيضاً عن مواطنيها.

يجب على أوروبا أن تحدد مشروعها السياسي وتفرض نفسها في القرن الحادي والعشرين كإمبراطورية جديدة. كتاب يتوقع لأوروبا الأسوأ، لكنه أيضاً يتنبأ بالأفضل إذا غيرت أوروبا من سياستها الحالية.

آخر الإصدارات الفلسفية باللغة الإنجليزية محمد الشيخ



- الكتاب: ما العرق؟.. أربع رؤى فلسفية
- المؤلف: تأليف جماعي
- الناشر: جامعة أوكسفورد، ٢٠١٩

ما تفتأ مسألة العرق والعنصرية تحظى بالمناقشات السياسية والإيديولوجية والاجتماعية. ذلك أن العديد يتحدثون اليوم عن التمييز العرقي وعن سياسة العرق وعن العلاقات بين الأعراق وعن العنف العرقي وعن الاندماج العرقي... لكن، دعنا نتساءل، أولاً: ترى ما الذي يكونه العرق؟ أهو بناء اجتماعي أم هو موضوع بيولوجي؟ وهل هو، يا ترى، مفهوم تقادم عليه الزمان وأصابه بالخرف، أم يمكن الحديث عنه اليوم حديث البيولوجيا والوراثة وأنواع أخرى من البحوث



- الكتاب: حياتنا لها معنى
- المؤلف: برتران فيرجلي
- الناشر: دار ألبان ميشيل، بالفرنسية، ٢٠١٩
عدد الصفحات: ٣٣٦ صفحة

يتناول برتران فيرجلي، في هذا الكتاب التأملية المهم والأصيل، موضوعاً رئيسياً مرتبطاً بوجودنا: ما هو معنى حياتنا؟ لا يجب المجتمع على هذا السؤال لأنه لا يرى أن هناك رغبة في النمو الأخلاقي والروحي، أهم من الاستهلاك المادي والسباق من أجل البقاء على قيد الحياة. لأن الكائنات البشرية تتحرك بقلبيها وعقلها وروحها ومن المستحيل بالنسبة للإنسان أن يعيش حياة بدون معنى. لذلك، يعود زمام الأمور إلينا لإيجاد حل لهذه المسألة الحاسمة داخلياً من خلال البحث عن اتجاه لوجودنا. سيساعدنا برتران فيرجلي، من خلال رحلة داخل أفكار معظم الفلاسفة، من العصور القديمة إلى يومنا هذا، ولكن أيضاً بالنزول عميقاً إلى كنوز الكُتاب والشعراء والصوفيين... ليثبت أننا لسنا كائنات خلقت في الكون، تخضع فقط لقطبي الصدفة والضرورة. يحتوي الكتاب على طاقة فكرية وروحية تخترق تاريخاً ومناقشات للأفكار التي أسست التفكير البشري بكل تنوعه ومشاربه.



- الكتاب: الإمبراطورية الجديدة
- المؤلف: برونو لومير
- الناشر: دار غاليمار، فرنسا، ٢٠١٩
عدد الصفحات: ١١٢ صفحة

آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية سعيد بوكرامي



- الكتاب: لماذا الأخوة؟
- المؤلف: إدغار موران
- الناشر: دار أكت سود، فرنسا، بالفرنسية، ٢٠١٩.
عدد الصفحات: ٦٤ صفحة

الحرية والمساواة والإخاء.. هذه المبادئ مكملة لبعضها، لكنها لا تتكامل مع بعضها البعض تلقائياً، فالحرية، خاصة الاقتصادية، تميل إلى تدمير المساواة، ويعد فرض المساواة مساوياً بالحرية. وبالتالي فإن المشكلة هي معرفة كيفية الجمع بينها. يمكننا سن قوانين تضمن الحرية أو تفرض المساواة، لكن لا يمكننا فرض الأخوة بموجب القانون. لا يمكن أن تأتي بأمر من الجهات العليا، يجب أن يصدر مبدأ الأخوة عن إرادتك الشخصية. يجب أن نجمع ونوفق بين الحرية والمساواة، حتى ولو أدى ذلك إلى تقديم تنازلات بين هذين المصطلحين، لإثارة أو إيقاف الأخوة.

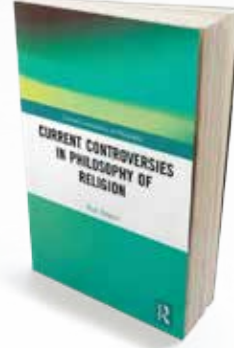
ومن المفارقات في الوقت الذي أصبحنا في أمس الحاجة إلى الأخوة الإنسانية أن نرى معالم الانغلاق والتشدد والتنافر في كل مكان. لكن الاعتراف بإنسانيتنا المشتركة واحترام اختلافاتها هو الأساس الذي يمكن على أساسه تطوير الأخوة بين البشر جميعهم، بغية مواجهة مصيرنا المشترك ومغامرتنا الحياتية المشتركة. ربما في نوع من الواحات، حيث أماكن الاقتصاد التضامني، النظيفة والخالية من تسميم الحيوانات والأرواح، أماكن لحياة أفضل، يمكننا أن نتخيل أماكن للعيش في تضامن وإخاء. هذه البذور، يمكن أن تكون بداية لحضارة الوفاء الشخصي والأخوة. لذلك، يجب أن نبذل قصارى جهودنا لحماية وتطوير أخويات الواحات. يجب أن نخلق جزراً لحياة أخرى، وعلينا مضاعفة هذه الجزر لأن الأشياء ستستمر في التراجع وستكون الواحات جزراً مقاومة للقيم الإنسانية، أو ستصبح إمكانات إيجابية، ونقطة انطلاق أخوة إنسانية أكثر شيوفاً تساعد على اصلاح حضارتنا المهتدة بالأفول.

كتاب عالم الاجتماع والفيلسوف إدغار موران (٩٨ع) رسالة أخلاقية وفكرية قاسية بتحذيراتها الوجيعة ووتهديداتها الوشيكة، لكنها مفعمة أيضاً بالأمل المشروط، لا بد من العودة إلى قيمنا ومبادئنا الإنسانية السامية، إذا أردنا إنقاذ حضارتنا في هذا الحاضر وذلك المستقبل.

إصدارات عالمية جديدة

- الكتاب: الإسلام الرأسمالي
- المؤلف: إميليانو لورانسني.
- الناشر: منشورات مانيفستو ليبيري (روما)، ٢٠١٩.
- عدد الصفحات: ١١١ صفحة

يسلّط الكتاب الضوء على مظاهر الرأسمالية ضمن السياق العربي الإسلامي. ويعتبر مؤلفه إميليانو لورانسني، أستاذ علم اجتماع التواصل، أن النظم السياسية الإسلامية استطاعت أن تبني مجتمعات متألّفة مع النظام الرأسمالي، أكان في التوجهات الكبرى للاقتصاد أو في مظاهر الحياة العامة. يحلّل الكاتب بالخصوص هذا التزاوج الحاصل ضمن تجربة العربية السعودية، متناولا في ذلك الخيارات السياسية والاقتصادية للبلد بوصفها نموذجا للرأسمالية الإسلامية وفق رأي المؤلف.



- الكتاب: النقاشات الدائرة اليوم في فلسفة الدين
- المؤلف: تأليف جماعي بتنسيق بول درابر
- الناشر: راوتليدج، ٢٠١٩.

هذا كتاب في فلسفة الدين. وفلسفة الدين فحص نقدي في مفاهيم الدين ومبادئه ومعتقداته. وهي تختلف عن الدين في أنه محافظ، وهي راديكالية تستفسر الدين عن سلطته وتقليده وعقيدته. ومن ثمة تثير فلسفة الدين إشكالات أساسية في مساءلة الدين وعوالمه. والكتاب ضالة من يريد النظر في أمر الدين في عالمنا اليوم. وقد حررته طائفة دولية من فلاسفة الدين حول معنى الدين والله والمطلق والحقيقة الأخرى أو النهائية: هل الدين يتقدم؟ وإن كان فكيف؟ وهل الحياة الأخروية فكرة ممكنة التحقق؟ وهل يعنى الرب بسعادة البشر؟ وهل ثمة حياة بعد الموت؟ وهل يمكن تجاوز مذهب الربوبية والإلحاد المادي معا؟ وهل ثمة من بدائل ممكنة لهما؟ يفتح الكتاب ببسط رؤية شاملة عن حقول فلسفة الدين، ويختتم بفصل يعد بمثابة جماع القضايا المطروحة في الكتاب برمته.

الجارية؟ وقبل هذا وذاك: هل العرق أمر واقع؟ في هذا الكتاب، يعمد أربعة من الفلاسفة ومنظري العرق إلى التجادل حول أفضل الإجابات التي يمكن أن تقدمها عن هذه التساؤلات، مطبقين في ذلك وسائل نظر فلسفية ومبادئ العدالة الاجتماعية من أجل فحص اكتشافات البيولوجيا والعلوم الاجتماعية بهذا الصدد. وكل واحد من هؤلاء يدلي بتصوره وبحججه: تدافع الفيلسوفة الأمريكية سالي هاسلانغر عن فكرة أن العرق حقيقة اجتماعية-سياسية، ويدافع الفيلسوف الأمريكي شيك جيفرز عن فكرة أن العرق ليس فقط أمرا سياسيا مقضيا، وإنما هو أيضا وبدرجة أساسية شأن ثقافي. ويستقصي فيلسوف العلم والبيولوجيا والعرق الأمريكي كايشاون سبنسر فكرة ما إذا كانت فكرة العرق حقيقة بيولوجية. كما أن الفيلسوف الأمريكي جوشوا غلاسغو يفند فكرة أن العرق حقيقة، ويرى أنه حتى إن كان هو حقيقة، فما هو بالحقيقة الاجتماعية ولا بالحقيقة البيولوجية. وكل واحد من هؤلاء الفلاسفة يقدم وجهة نظره ويدافع عنها ويجب عن اعتراضات الآخرين في حوار شيق وحي ومثمر.



- الكتاب: عزلة البابا فرنسيس
- المؤلف: ماركو بوليتي
- الناشر: منشورات لاتيرسا (باري-إيطاليا)، ٢٠١٩.
- عدد الصفحات: ٢٣٧ صفحة

يُعدّ مؤلّف الكتاب ماركو بوليتي من كبار المتخصّصين في الشأن الفاتيكانى. في مؤلّفه هذا يرصد بوليتي الحرب المستعرة داخل الفاتيكان لتركيغ البابا فرنسيس وصرفه عن الخيارات الإصلاحية الكبرى التي أتى عقب خلفه المستقيل راتسينغر لخوضها وإتمامها. هل سيلحق فرنسيس، بابا الجنوب، جراء اللوبي المتحكم بالكنيسة بسلفه راتسينغر ويستقيل، أمام حدّة التدافع في الوسط الديني الفاتيكانى؟ ذلك ما يحاول بوليتي توضيحه في هذا الكتاب القيم.

آخر الإصدارات في اللغة الإيطالية عز الدين عناية



- الكتاب: ما الذي يلزم الفلاسفة أن يعرفوه عن الحقيقة
- المؤلف: فريد ستاوتلان
- الناشر: دو غريتر، ٢٠١٩.

هذا كتاب جمع عن فيلسوف مجهول في العالم العربي لم يترجم له كتاب مفرد ولا أذيع له رأي واحد. يتعلق الأمر بالفيلسوف الأمريكي من أصل نرويجي فريد ستاوتلان (ت ٢٠١١)، وهو فيلسوف معاصر يعد وجها من وجوه فلسفة الفعل وفلسفة اللغة. وفي هذا الكتاب تم ضم جماع مقالاته الأساسية في مواضيع الحقيقة واللغة والفعل والذهن. ومن ثمة يوفر هذا الكتاب، الذي جمعه بعض تلامذته، لمن يريد الاطلاع على أفكاره، مفتاحا لأهم الإشكالات الفلسفية التي عني بها في عمله الفلسفي الذي لا يزال شبه مجهول إلى اليوم، وذلك في حوار عميق والمثمر مع أهم فلاسفة العصر؛ لا سيما منهم لودفيغ فيتجنشتاين ودونالد دايفيدسون، محاوراه المفضلان، كما يقدم هذا الكتاب صورة ضافية عن أهم قضايا الفلسفة التحليلية المعاصرة.

حالياً في الأسواق..

مجلة التفاهم

عنوان العدد: الصلاح والفساد في الإنسان والعمران

المحاور

- الصلاح والفساد في الإنسان والعمران - عبد الرحمن السالمي
- مقدمات الإصلاح بين جدلية الوعي وقوانين التاريخ - عبدالحميد عشاق
- الاستخلاف والعمران في ضرورة الوعي بقيم وسنن النهوض والسقوط - سعيد شبار
- الفساد والأمن البيئي من منظور إسلامي - سامي عطا عبدالرحمن
- أزمة الأنظمة الفكرية الكبرى المعاصرة: الديمقراطية الليبرالية والرأسمالية والشعبوية - علي الدين هلال
- العولمة والشعبيات ومصائر الديمقراطية وحكم القانون في الغرب - ياسر قنصوه
- النقاشات الفلسفية القارية المعاصرة حول مسألة مستقبل الإنسان ومسألة القيم في عصر الثورة البيو تقنية - محمد الشيخ
- أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة .. قراءة فلسفية - وجدي نسيم
- العقول الذكية وعبودية الآلة والمصائر الإنسانية بين الرأسمالية والشمولية - محمد بالراشد
- الفضاءات الإلكترونية من المعضلات الأخلاقية إلى الآثار السلبية - أحمد زايد
- ثورة الزنج وثورات القرامطة.. الشعبويات والتفسير الاجتماعي - رضوان السيد
- موقع المسلمين في نظام العالم والبحث عن البدائل - عز الدين عناية

دراسات

- التكامل المعرفي بين العلوم اللغوية والعلوم الشرعية عند الشاطبي - عبدالرحمن يجوي

وجهات نظر

- رأس المال الثقافي مقارنة سوسيولوجية - خالد كاظم أبو دوح
- إدغار موران وثورات التقنية والمستقبل - محمد بن سعيد الحجري

آفاق

- الإسلام ووعي الحرية - عبدالرحمن السالمي



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف : ٢٤٦٤٤٠٣١ - ٢٤٦٤٤٠٣٢ ، فاكس : ٢٤٦٠٥٧٩٩ +٩٦٨

البريد الإلكتروني : tasamoh@gmail.com - al.tafahom@gmail.com - www.altafahom.net